هيموفوبيا

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

.Hemophobia

تأليف

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

سامي سلام القراش

رواية

هيموفوبيا

Hemophobia

تعديل من خلال WPS Office

اسم الكتاب: هيموفوبيا

اسم الكاتب: سامي سلام القراش

تصميم الغلاف: عماد رشدي

مراجعة لغوية: أمل خليل

إخراج داخلي: آية سامي

رقم الإيداع: 2019/11775

الترقيم دولي:978-977-6688-25-4

صادر عن دار سنون للنشر والتوزيع

إشراف عام:

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

صبري سامي عبدالعزيز

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة للمؤلف

تعديل من خلال WPS Office

من قرأ هذه الرواية وعيناه لم تذرف دموعًا

حتمًا يجب أن يعُرض على طبيبٍ نفسيٍ.

تعديل من خلال WPS Office

تعديل من خلال WPS Office

كانت ليلةً قمريةً تجلى فيها القمر على منطقةٍ زراعيةٍ

يكسوها الظلام الدامس ووحشة الليل، تزحف وتنشد على

صوت سيمفونية صراصير الليل، يعكس ضوء القمر الفضي

على أشجارها ليعطيها بريقًا ساحرًا، كأنها قطع مرايا صغيرة

تعديل من خلال WPS Office

معلقة على أغصانها، إنها ليلةٌ باردةٌ والرياح تهب تعلن عن نفسها.

كان صابر عائدًا مترنحًا ومتثاقلًا من عناء ليلةٍ قضاها في العمل متجهًا للبيت الذي يؤويه.

ذاك الرجل الأربعيني، طويل القامة ذو العينين السوداويين الواسعتين المفعمتين بالبراءة، وسيم الملامح، صاحب الوجه البشوش، يرتدي سروالًا ومعطفًا طويلًا.

يبدو الفقر وراء ثيابه الرثة المتهالكة، تجلب عليه الشفقة.

ربما خلف تلك الملابس البالية قلبًا صافيًا كصفاءِ العين الباكية.

تعديل من خلال WPS Office

عندما وصل صابر إلى منزله، اقترب من الباب بحذر، دس المفتاح في القفل وأداره بلطفٍ ودلف بخطواتٍ مترقبةٍ متجهًا لغرفةٍ في مدخله مباشرةً، تلك الحجرة المُعَدَة لاستقبال الضيوف، والتي عادةً ما توجد في المنازل الريفية القديمة حتى لا يزعج زوجته في هذه الساعة المتأخرة من الليل التي أدرك أنها لم تستطع مقاومة النوم حتى هذا التوقيت.

دلف الرجل داخل الحجرة يتحرك بهدوء، يبدل ملابسه، ويلقيها فوق كرسيٍ خشبيٍ بجانب الأريكة، قطعةً تلي الأخرى؛ ليتأرجح الكرسي من ثقل ما يرتدي، يستلقي على

تعديل من خلال WPS Office

الأريكة مستسلمًا للنوم بعد ذلك اليوم الشاق، حيث استنفد الجسم طاقته، ضغط على زر المصباح بجانبه، فتحولت الحجرة إلى ظلامٍ دامس بشكلٍ مفاجيء، سحب غطاءً يغطي به جسده ويدفأ به من البرد، وراح يغمض عينيه الواسعتين متحركةً من تحت جفنيه، ثم يفتحهما مجددًا ويجول بنظراته القلقة في أرجاء المكان ما بين طيات الظلمة، شعر بسكونٍ يملأ الغرفة تجثم على صدره، سوى دقات عقارب الساعة المعلقة على الحائط ذات الزجاج المتشقق، التي تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل تعلوها لوحةٌ قرآنية. رويدًا رويدًا يشعر بالخمول ويتصاعد النعاس إليه فيغلبه النوم، يمر

تعديل من خلال WPS Office

الوقت سريعًا دون أن يتمكن من مجاراته، استيقظ على سماع نداء المؤذن لصلاة الفجر، فذاك داعٍ للفلاح والهداية، فتح عينيه الواسعتين من تحت الغطاء، وزفر نفسًا طويلًا حارًا وهو يحدث نفسه شارد الفكر والوجدان، فقد مر الوقت سريعًا، ثم مط شفتيه ونفخ بحرقةٍ قائلًا: لم أكتفِ من النوم سأنهض من ملذتي وألبي نداء ربي، فتأتيه الهواجس الا ستخواذية الملحة والوسواس القهري.

- أنتَ مُتعبٌ هذه الليلة، وجسدك مازال يرتجف بقوة، أرحه هذه السويعات المتبقية من عماية الصبح.

نعم مازلت أتألم من مشقة ليلةٍ قضيتها في العمل، ولم أنل

تعديل من خلال WPS Office

قسطًا كافيًا من النوم والراحة، ران عليه صمتٌ ثقيل برهةً قصيرةً يتأمل فيها سقف الغرفة المظلمة المطلية بلونٍ شديد السواد، تضيف شعورًا موحشًا إثر الدخان المتصاعد من موقد الحطب، وهي من الطرق القديمة للتدفئة، تحت ضوءٍ خافتٍ من ثقبٍ في شباكٍ خشبيٍ مكون من (ضلفتين)، هو أكثر أنواع الشبابيك شيوعًا وقتذاك، تعطي طابعًا ونمطًا ريفيًا، و المطل على خارج المنزل، أسفل عمود إنارةٍ، ينبثق منه شعاع النور المنبعث من الثقب كضوء شمعةٍ أوشكت عن انتهائها، ندت عنه تنهيدةٌ عميقة، وهمس بصوتٍ تشوبه رنة عتاب:

ستفوتني الصلاة! لا لا، حسنًا، لابد أن أنهض.

تعديل من خلال WPS Office

- أجل، إن تركت الصلاة، فهذا ذنبًا عظيمًا، ولكن لن تتركها بل تصليها في الصباح، بذلك لن تفوتك، فلا إثم عليك، وتذكر أن لبدنك عليك حق، فاعط كل ذي حقٍ حقه.

نعم بدني له عليّ حقّ، لا مانع من أن أستقطع قليلًا من الوقت في النوم، وبعدها سوف أقوم بأداء الصلاة طالما لن تفوتني.

استحالت ملامحه فجأة إلى الحزن بعصبيةٍ، وقطب حاجبيه ، ماذا أقول؟ لا لا، سوف تفوتني الجماعة، سأنهض.

- مازلت مُصرًا، ألم تشعر بالبرودة؟ ألم تسمع صوت الرياح العتيقة تهب في الأرجاء كأنها شلال مياهٍ تدفق على منحدرٍ صخري؟ فماذا يكون حالك إذا غادرت فراشك الآن؟

تعديل من خلال WPS Office

انقبضت أساريره، وتقلّص وانكمش على نفسه، فبدا متجهم الوجه تعلوه مسحةٌ من الخوف، ثم برز برأسه من تحت الغطاء كأنه جهاز تليفوتوغرافي يقيس ويرصد درجات الحرارة، شعر بالبرد القارص في الجو الصقيع، وسمع صوت الرياح التي تهب بكامل قوتها وتنطلق في الفضاء خارج المنزل، عاد يدس رأسه تحت الغطاء، يضم قدميه إلى صدره وجسده ينتفض كأنه أصابته صاعقة كهربائية، وقد بدت شفتاه ترجفان غضبًا صامتًا لحين سماع نداء المؤذن "الصلاة خيرٌ من النوم"، توالت ضربات قلبه وقال بصوتٍ تخنقه العبرات: قطعًا الصلاة ليست فقط خيرٌ من النوم، الصلاة خيرٌ من كل شيء، لها مكانةٌ عظيمة وأقربها إلى رب العزة -

تعديل من خلال WPS Office

سبحانه وتعالى- أتعب قليلًا، أرتاح كثيرًا، سأنهض من الفراش دون تفكيرٍ وأرتدي قبعتي والبالطو الأسود وأوقظ مصطفي ولدي كي يتعلم الصبر على الطاعة، فهي أعلى وأفضل من الصبر على البلاء.

ذاك الطفل الوسيم ذو العينين العسليتين الواسعتين، ووجهه المستدير الأبيض، وشفتاه مكتنزتان، بينما الغمازتين على جانبيه تزيده جمالًا ذو العاشرةِ من عمره.

خطا الرجل داخل الغرفة التي يرقد فيها الغلام في إحدى زوايا بهو البيت الواسع، حيث ترقد بجانبه أخته حسناء التي لا يفارقها قط، تلك الطفلة الجميلة التي أكملت عامها

تعديل من خلال WPS Office

الخامس منذ شهرين، أيقظ الصبي برفقٍ ليأتي برفقته، لأداء صلاة الفجر في جماعة، فاستيقظ مصطفى وهو يفرك عينيه محاولًا إزالة سحابة الغمامة النعاسية التي كست وجهه، و يحدق في والده بشدة، والذي قال له بصوتٍ خفيض: انهض يا بني، الصلاة خيرًا من النوم.

أومأ الغلام برأسه بالإيجاب، وعندئذ وثب ونكل من فراشه المتآكل مهرولًا إلى المرحاض؛ ليغتسل، ثم ارتدي معطفًا جلديًا وخرج من المنزل مترجلًا برفقة أبيه متجهين إلى المسجد.

وضع الأب يده على كتف ابنه ليشعره بالدفء والحنان، عندما

تعديل من خلال WPS Office

فرغا من أداء الصلاة وتمكنا من أدائها والحفاظ عليها، فلابدّ لهما من معرفة أن الدنيا فانيةٌ زائلةٌ، وأنّ الآخرةِ هي الباقية، خرج الصبي ينتظر والده أمام باب المسجد، والذي خرج منه الأخير برفقة الشيخ أحمد إمام الجامع.

رجلٌ تخطى عامه الخمسين بسنوات، وقورٌ ذو لحيةٍ كثيفة يزينها الشيب، ذو بشرةٍ بيضاء ناصعة.

يهمس صابر قائلًا: كاد يتغلب على وساوس الشيطان لمنعي من تلبية نداء ربي ولكن تغلبت عليه متوجهًا لله حاصلًا على لذة المناجاة، لقد كنت متعبًا للغاية البارحة من عناء ليلةٍ قضيتها في العمل الشاق، لكن الآن أشعر براحةٍ نفسية،

تعديل من خلال WPS Office

وذهب عني التعب، وعاد إليّ جزءًا من نشاطي المعهود.

ابتسم الشيخ أحمد وهو يربت على كتفه بحنانٍ وقال بودٍ:

هكذا الطيبون الصالحون لطهر نواياهم ونقاء مواطنهم، لعل الله يكافئك على صبرك يا صابر.

حين كان الصغير واقفًا يعدل هندامه ويستمع بهدوءٍ وتمعن، فقد كان حديثًا شيقًا ممتعًا حتى أنه لم يشعر بمرور الوقت، و لا ببرودة الجو، نظرًا للخُلق الرفيع الذي يتمتع به الشيخ.

بعد إنهاء الرجل حديثه مع الشيخ، غادر برفقة الطفل مودعًا إياه قبل الرحيل، تلوح في ثغره ابتسامة عٌريضة مٌوليًا ظهره

تعديل من خلال WPS Office

هو والغلام يشقان طريقهما متمهلان في هوادةٍ ورفقٍ عائدان إلى دارهما حتى غاب الشيخ عن ناظريهما، واصلا السير تقودهما قدماهما بخطواتٍ ثابتةٍ تحت ستر الظلام.

وعند اقترابهما من المنزل على بعد بضعة أمتارٍ فوجئ صابر بالنيران مشتعلةً في منزله، تصلب في مكانه واتسعت حدقتاه وقد عبّرت قسمات وجهه عن الحُزن ثم صاح بأعلى صوته مهرولًا ليستغيث بالجيران، سرعان ما ركض داخل البيت يوقظ زوجته التي انتابها الفزع، في ذلك الوقت دلف الغلام لغرفته يوقظ حسناء التي جحظت عيناها، وانطلقت من بين

تعديل من خلال WPS Office

ثنايا فمها صرخاتٌ مكتومة. كانت النيران مشتعلةً في حجرة الضيوف والتي كان يرقد بها الرجل قبل خروجه للصلاة، امتدت النار لبعض الأثاث نتيجة ماس كهربائي بسبب شدة الرياح، أسفر عنه اشتعال الحجرة، ولم تتجاوز أكثر من ذلك، بسرعة بديهة تم عزل المناطق الآمنة عن المناطق المشتعلة، أسرع الأب بمساعدة الجيران بمنع تمدد النيران إلى باقي المجاورات والسيطرة عليها وإخمادها، إلى أن انطفأت وهدأت حومة الوغي بينهم وبين النيران، وعند الانتهاء أسند صابر يده إلى الحائط، وجلس على الأريكة المتهالكة يستنشق

تعديل من خلال WPS Office

أنفاسه بهدوءٍ وهو يطيل النظر في أرجاء البيت بنظراته الحادة الشاردة، كأنه أصابته نتواءاتٍ تعبر عن حالات التشنج والاضطراب، تنهد تنهيدةً حاميةً وقال: الحمد لله، نداء ربي نجاني، في قربه حياتي، وفي بعده هلاكي.

التفت إليه الغلام وبدا شاحب الوجه مرتجف الملامح: الحمد لله يا والدي.

ربت الرجل على كتفه قائلًا: تحلّ بالصبر يا بني، وتحمّل ظلم الدنيا، فإن الإنسان يتعرض في حياته إلى الكثير من الصدمات والعثرات والضغوط النفسية بشكلٍ متكررٍ، أو

تعديل من خلال WPS Office

لمواقفٍ كثيرةٍ تتطلب منه الصبر والثبات عند المصيبة و التحمل سواء كانت ابتلاءات يرسلها الله -عز وجل- لعبده -ليس من سخطه عليه بل لدفع مكروهٍ عنه- وقد يأت أحيانًا على هيئة معوقات وعقبات، أو شخصٍ من البشر تحتاج إلى صبرٍ لما يعينه عليه، وقوة إيمان أولًا.

أوجد والده في وجدانه القدرة على الصبر منذ نعومة أظافره، لينمي عقليته وتفكيره بالحكمة والتحمل، تلك التي جعلته يسبق رفاقه في مثل عمره، بجانب أنه متفوقٌ في دراسته، حكيمًا في أفعاله وتصرفاته وقراراته بشجاعة، مما حفز

تعديل من خلال WPS Office

معلميه على إظهار حبهم له، هذه المميزات سببًا في أن

زملاءه في المدرسة يكيدون له؛ لحقدهم وكرههم له، كما

أنهم يعلمون أن مصطفى يتعرض لنوبات ذعرٍ عند رؤية الدم،

حيث كان مصاب بمرض "الهيموفوبيا" Hemophobia. الذي

يطلق عليه رهاب الدم أو فوبيا الدم، هذا المرض الذي يصيب

الشخص المريض بحالةٍ من الهلع المتكررة التي قد يصاب بها

الإنسان بسبب عامل رؤية شكل الدم، تبدو عليه

علامات القلق والخوف والذعر والهروب من مكان الدم

بصيحةٍ مخيفة، فيما تتفاوت درجة خطورته بحسب مصدره،

تعديل من خلال WPS Office

سواء كان مصدر هذا الدم من الشخص نفسه أو أحد

الأشخاص المحيطين به، كما أن الأمر لا يرتبط بكمية الدم

الذي يراه المريض، وإنما الأعراض تظهر بمجرد رؤيته أول

قطرة من الدم، إلى أن يصل الأمر إلى الخوف ودرجة تشعر

معها بالاختناق ومشكلاتٍ في التنفس والتعرق، يصاحبه

غثيان من رؤية دم الحيوانات، أو رؤيته في مشهد معركةٍ

دمويّةٍ في التلفاز، أو رؤية آلات ومعدات تقطيع أو الأدوات و

المستلزمات الطبية مثل: السكاكين والمشارط الطبية، وكل

الأدوات التي ترتبط في الذهن بصورة الدم.

تعديل من خلال WPS Office

كما يجد المصاب بمرض "الهيموفوبيا" صعوبة في التنفس

وشعور بضيقٍ في الصدر بالاختناق، شعورٌ غير مريح، وتزداد

سرعة ضربات القلب لتصل إلى حد الإغماء الوعائي المبهمي،

قد ينتج عنه غشاوةٌ في الإبصار؛ لذلك يفضل مريض

الهيموفوبيا أو رهاب الدم العزلة.

لهذا كان زملاء الغلام في المدرسة يتعمدون إيزاءه،

ويجبرونه على الخضوع لرؤية دم جروحهم التي يصنعونها

بأيديهم، ما أن يرى الدم تنتابه نوبةٌ مفاجئة من الخوف و

الهلع الذي يحفز ردود الأفعال الجسمانية الشديدة بزيادة

تعديل من خلال WPS Office

ضربات القلب اضطرابًا.

يبدأ الغثيان وفقدان الوعي بسبب نقص تدفق الدم، يليه إغماء عصبي، يظل الفتى في تلك الليلة منعزلًا عن المحيطين به، غارقٌ في محيطٍ من الشرود، إلى أن تعود حالته الطبيعية تدريجيًا.

والحق أنه كان يتصف بالحكمة وحسن التصرف، غير أن شعوره بالحمل الثقيل على عاتق أبيه، لذلك كان لا يرغب في جلب نفقاتٍ زائدة تتراكم فوق كتف والده، كان حريصًا وتعلم كيف يدخر نصف مصروفه المدرسي اليومي لشراء

تعديل من خلال WPS Office

مستلزمات المدرسة، والنصف الآخر يبتاع به الشوكولاتة التي

تحبها حسناء أخته، الطفلة الجميلة التي يحبها بجنون،

فيظهر عليه مدى تعلقه بها، كان دائمًا يداعبها بحنانٍ ودفء،

محاولةً منه لتعويض حرمانها من الالتحاق بالمدرسة كالأ

طفال؛ لعدم استطاعة والده تحمل نفات زائدة تفوق طاقته،

قطعًا هي التي دفعته لخطو خطوةً جديدة، تحملَ على

عاتقيه عبئًا في عمره الحادي عشر بالبحث عن عملٍ بعد

عودته من المدرسة، يتطلع باشتياقٍ إلى الوصول لغايته.

كانت الصغيرة تنتظر أخاها يوميًا بشغفٍ عند عودته من

تعديل من خلال WPS Office

العمل، يمد يده ليتناول حقيبته الصغيرة، ويبحث بداخلها

لثوانٍ ثم يخرج قطعة الشوكولاتة التي تنتظرها بلهفةٍ،

فترتسم على ثغره أجمل ابتسامه تشق طريقها وسط الدموع،

يعجز الشعراء عن وصفها. تلك الابتسامة التي حفزته على

وعد حسناء في نزهةٍ عند تقاضي راتبه الشهري البسيط،

حرصت الطفلة الصغيرة على أن تنتظر بلهفةٍ وتعد الأيام

والساعات من أجل هذا اليوم.

تعديل من خلال WPS Office

الموعد

الساعة تشير إلى الثامنة صباحًا، تناثرت فيها أشعة الشمس الدافئة، استيقظ مصطفى متجهًا لحسناء يدعوها لنزهةٍ مستأذنًا والديه، هز صابر رأسه في إشارةٍ بالموافقة، تصاحبها ابتسامةٍ عريضة، سارعت زوجته صفية بطبع قبلةٍ على خد الصغيرة قائلة: لا تتأخرا، سوف أعد الطعام لحين عودتكما

تعديل من خلال WPS Office

(محتضنه ابنها)، حسنًا، لا تترك أختك من يدك ولا تتأخرا يا بني، فأنت مازلت صغيرًا.

مط شفتيه ونفخ بحرقةٍ: ألستُ رجلًا؟

فضحكوا وتعالت ضحكاتهم، انطلق الأخ برفقة أخته إلى الملاهي يمرحان، إلى أن شعر الغلام بالتعب، فنظر إلى أخته وقال لها:

دعينا نسترح قليلًا قبل العودة للمنزل.

هزت حسناء رأسها بالإيجاب وعانقت أخيها ورسمت على شفتيها ابتسامة وهي تقول: أريد عصيرًا؟

رفع حاجبيه وأغمض عينيه

تعديل من خلال WPS Office

قالت في لهفةٍ هل نفدت نقودك؟ لا عليك، نسترح لحظاتٍ ثم نواصل السير للبيت، فتح مصطفى عينيه مبتسمًا موجهًا حنجرته نحو الصغيرة.

- اليوم كل طلباتك مجابة يا حبيبتي.

وقد تضاعف رثاؤه وعطفه نحو أخته، تعلقت وتشبثت بعنقه وبدوره احتضنها حتي ارتفعت قدماها من على الأرض وهو يدور بها ضاحكا بدورات محورية حول نفسه، ثم أنزلها ببطءٍ على قدميها وطبع قبلة على جبينها، هرع الصبي وأحضر عصيرًا لحسناء التي أخذت ترتشفه في بطءٍ، رشفةً تلو الأخرى وهي تنظر إليه بين الحين والآخر، تعلو ثغرها

تعديل من خلال WPS Office

ابتسامة معلنةً عن سعادتها.

حين اقتربت الساعة من الرابعة عصرًا، كانت السماء ناصعةً

والشمس ترسل أشعتها لتملأ الأرض نورًا، رويدًا تنخفض

حرارة الشمس وتختفي تدريجيًا، وسرعان ما أمسك مصطفى

يدها عائدان للمنزل، عندما أنزلهما الباص عند مدخل بلدتهما،

الطريق الزراعي المؤدي إلى الدار، كان الغلام يسير بخطىً

ثابتة برفقة الطفلة بين الأشجار ماسكا يدها، تغمرهما سعادةٌ

لا توصف، بينما حسناء تداعب أخيها بقفزاتٍ مضحكةٍ مرحة،

تتطاير خصلات شعرها خلفها كأمواج بحرٍ ثائر.

لحظات وشعر مصطفى بحركاتٍ غير طبيعيةٍ في أحد

تعديل من خلال WPS Office

الجوانب، فقبض على يد أخته التي سكنت عن الحركة، وتصاعدت حالة الهلع وارتفعت حدة التوتر بداخلها، وهو الآخر، في نفس اللحظة اتسعت عيناه وتجهم وجهه في يأسٍ وأخذ نفسًا عميقًا في صمتٍ وهو يدير رأسه بعفويةٍ في حركةٍ شبه دائرية.

تحرك ببطءٍ بخطواتٍ مترقبة، وضم حبيبته نحوه والسكون يملأ المكان، والسماء صافيةٌ كصفاء السرائر النقية الطيبة، مستشعرًا في نفسه شيءٍ ما، لم يكمل هواجسه حتى تراءى له شابين تتراوح أعمارهما ما بين الاثنين أو الثالث والعشرون ، ملثمين من قمة الرأس أمامه، فارعان الطول، قويان البنية،

تعديل من خلال WPS Office

يرتديان معطفًا يصل للركبة، وشابان آخران خلفه، يلتفت يمنةً ويسرةً في هلعٍ بنظراته المتسعة الشاردة، وزاغت عينيه وهو يحتضن الصغيرة التي انتابها الفزع ودست رأسها في صدره، ربت على ظهرها، ثم حول نظره لهؤلاء قائلًا: ماذا تريدون؟

ضحك أحدهم ضحكةً باهتة

- نريد بيعكما كقطع غيارٍ.

فتعالت قهقهة الآخرين، ضم مصطفى حسناء بقوةٍ وهو يرتجف خائفًا، حيث أدرك أنهم عصابة خطف الأطفال، أو ربما تجار أعضاء بشرية!

تعديل من خلال WPS Office

برقت عينا الغلام في صدمةٍ، كما لم يكن في استطاعته فعل شيءٍ سوى أن يمد يده في جيبة ويبرز ما معه من نقودٍ ليعطيها لهم قائلًا بصوتٍ مرتجفٍ خائف: هذا كل ما أملك، وتوسل إليهم أن يتركوهما.

عقد أحدهم حاجبيه ونظر إليه نظرةً سادية متوحشة، واتجه نحو الفتى وأخته، في حين أن الآخرون التفوا حولهما وانقضوا عليهما انقضاض النسور على العصافير، في لحظةٍ انتزعوا الصغيرة من يد الطفل الذي بات يصرخ بشدةٍ وانهمرت الدموع الحارة فوق وجنتيه.

تعديل من خلال WPS Office

قام أحدهم بإمساك الطفلة حسناء ذات الخمسة أعوامٍ وحملها على ذراعيه وعقد خصلات شعرها على يده ليجذبها نحو صدره بعنفٍ من الخلف واعتصرها بين ذراعيه، جعلها تصرخ من شدة الألم، سالت الدموع من مقلتيها، وظلت تلوي جسدها محاولةً إفلات شعرها منه، في حين كان الغلام يحاول جاهدًا أن يُفلت يديه، مفكرًا في إنقاذ أخته؛ ظل يتصارع بيديه الضعيفتين مستخدمًا حركات جسده متأرجحًا يمينًا ويسارًا إلى أن نجح في التملص والإفلات من براثن هذا الوحش الآدمي، سقط على الأرض وزحف على اليدين و الركبتين باحثًا عن شيءٍ صلبٍ يدافع به عن الصغيرة التي مازال كبيرهم ينقض عليها بمنتهى الوحشية والقسوة مطلقًا

تعديل من خلال WPS Office

زمجرات غاضبة.

عثر على شيءٍ يبدو أنه صلب على الأرض، ثم قامَ ينتصب على قدميه، وثب واقفًا واستجمع قواه وأسرع نحو ذلك الرجل، وبكل ما يملك من قوةٍ وجه له طعنةً غادرة بآلةٍ حادةٍ نافذةٍ في إحدى عينيه، مما أسفر عن تدفق الدم منها بغزارةٍ، جعله يترك حسناء من يده من أثر الضربة، فسقطت على الأرض.

ما أن رأى مصطفى الدم انتابته نوبة صرعٍ وصراخٍ بصوتٍ عالٍ، وشعر برجفةٍ مفاجئةٍ تسري في جسده، كاد أن يغمى عليه ويفقد صوابه، ولكن تحكم في نفسه لخوفه الشديد على

تعديل من خلال WPS Office

أخته، الذي يحفز ردود الأفعال.

أمسك بيدها ليساعدها على الركض والهرولة في حين انشغالهم في دماء كبيرهم.

تعثرت قدمها لتسقط على الأرض مجددًا، يحاول الغلام حملها لكن سرعان ما انتبه لهما كبيرهم، ذاك الرجل مفقوع العين، أشار بيده إلي رفاقه في اتجاه الطفلين، ويده الآخرى يضعها على عينه.

في سرعة الرياح تمكنوا من السيطرة عليهما مجددًا، دنا رئيسهم منهما وهو يئن، وهنا ران عليهم صمتٌ ثقيل، جحظت فيها عينا الفتى حتى خرجتا من محجريهما، وانقبض

تعديل من خلال WPS Office

ت أساريره عندما كشف عن جزءٍ من وجهه وهو يشير إلى العين اليمنى المفقوعة، أما العين الأخرى أسفلها رسمت واشمة على شكل دمعة عين، يوجهه كلامه إليه بصوت تشوبه رنة ألمٍ: سوف ألقنك درسًا لن تنساه ما حييت جراء ما فعلت.

ويصدر صريرًا من بين أسنانه، ويمرر إصبعًا على ذقنه متوعدًا له. قام شابٌ منهم وكبّل الغلام بالحبال في جذع شجرةٍ فيحاول الإفلات، وآخر وضع حسناء على الأرض، وثالث قيد قدميها

بالحبال وهو يضغط على وجهها من الشق الأيمن، بينما الشق

تعديل من خلال WPS Office

الأيسر دُفس في الأرض، أما مصطفي فكان يحاول فك قيوده، ذرف دمعًا ثخينًا وهو يقول بصوتٍ مكتومٍ متحشرج متوسلًا لهم أن يتركوا أخته.

عاد النظر إليهم في هلعٍ، وتصلبت حدقتا عينيه محركا شفتيه بصوتٍ مرتجف: ماذا تفعلون بها، اتركوها لترحل وافعلوا بي ما شئتم.

أخرج كبيرهم صاحب العين المفقودة سكينًا كان يخبئها بين طيات ملابسه، صرخت الطفلة ناظرةً إلى أخيها الذي انتابه الذعر وتعالى صراخه: ماذا تفعلون؟

- سوف ألقنك درسًا لن تنساه.

تعديل من خلال WPS Office

قالها ذاك الرجل الأعور وهو ينحني ويضع السكين فوق عنق الصغيرة التي استسلمت ناظرةً بعينين تهميان بالدموع إلى مصطفى واستمرت تبكي بنشيجٍ مسموع.

عاد صاحب العين المفقودة ينظر إلى الغلام الذي بات يصيح بقوةٍ محاولا فك قيوده من الحبال، سرعان ما قام الرجل بتحريك السكين فوق عنق حسناء ذهابًا وايابًا لتتطاير الدماء وتنفجر كنافورة مياة، تناثرت على الأرض، في حين ما زالت الصغيرة مستسلمة وتعلقت عيناها بوجه أخيها، ولن تفارق عينيها النائمة بسلامٍ له حتى سمع حشرجة بعد الذبح، لم يتركها الرجل إلا مفصولة الرأس كالشاة المذبوحة، أمام أعينه

تعديل من خلال WPS Office

وهو جاحظَ العينين، انقطع صوته ثم شهق شهقةً وفقد الوعي تمامًا.

راح الرجل ذو العين المفقودة يعدل من انحنائه مستقيمًا مبتسمًا يسوي هندامه ويمسح السكين في معطفه من أثر الدم رافعًا حاجبه كأنه حقق انتصارًا، ظل المسكين متصلبًا بلا حراكٍ فاقدًا الوعي والرأس منحنية للأمام على صدره، تأزم الجو بالصمت الثقيل والجمود، لحظاتٍ وسمعوا أصوات أقدامٍ تسحف في خطواتٍ حاسمة نحوهم، فروا هاربين كالثعالب بين الأشجار، يختبئون كالفئران في جحورهم قبل أن يُفضح أمرهم، مالبثوا غير ثوانٍ واختفوا دون أي أثر يخلفونه

تعديل من خلال WPS Office

وراءهم!

كان أصحاب هذه الأقدام (حسين)، رجلًا تجاوز التاسعة والستين ربيعًا، سمين البدن صاحب الشارب الكث، والآخر (سعد) الذي يصغره في العمر، طويل القامه قوي البنية عائدين من العمل، واللذين فوجئا بذاك الحادث أمامهما، تصلبت شرايين دمائهما من هول الصدمة، يضرب أحدهما جبهته بيده، بينما الآخر ذم شفتيه فاغرًا فاهه وقد اتسعت عيناه، تمالك حسين أعصابه وأخرج هاتفه من جيبه، وأسرع في الاتصال بالشرطة وسيارة الإسعاف، علي حين أن سعد

تعديل من خلال WPS Office

ازدرد ريقه بصعوبةٍ وهو يتفرس وجه الطفلين قائلًا: أبناء صابرا! من فعل بهما هذا؟

وصدر عنهما صوتٌ عميقٌ متهدجٌ، ثم هرع إلى الغلام ينصت إلى نبضات قلبه وهو يقول: ما زالت الحياة تأخذ مجراها بداخله.

صاح عمه: اترك كل شيءٍ لحين قدوم رجال الأمن.

تعديل من خلال WPS Office

معاينة النيابة

(بعد مرور ساعة على ارتكاب الجريمة)

في زمنٍ قصيرٍ حضرَ معاون المباحث **محمود**، يرتدي معطفاً جلديًا أسودًا ذو حوافٍ لونها أبيض، من ذوي البشرة الأكثر سمرةً، خطّ الشارب النابت على وجهه، يرافقه رجال الإسعاف والتي أخذت مصطفي بعد التأكد من أنه مازال على قيد الحياة فاقدًا للوعي، بينما تُركت جثة حسناء لحين حضور النيابة وخبراء المعمل الجنائي من الطب الشرعي، كي

تعديل من خلال WPS Office

يستعين بالطبيب المختص وغيره من الخبراء لإثبات حالة الجريمة، طوقت الشرطة مكان الحادث، ووُضع الشريط الأصفر حوله. في هذا التوقيت حضر وكيل النيابة **شريف صبري** يرتدي بذلةً فاخرةً ذات الرباط العنقي المخطط بخطوطٍ رفيعةٍ، ذو الشعر الأسود شبيه بالشاشة الفضية، وعيناه متسعتان توحي بشخصيةٍ قويةٍ، من رآه هابه، مد يده وأخرج سيجارة ثم أشعلها بالقداحة، ونظر إلى النقيب محمود قائلًا: من أبلغ عن الحادث؟

رد المعاون على الفور: حسين وسعد، وتم التحفظ عليهما لحين العرض على سيادتكم.

تعديل من خلال WPS Office

هز شريف رأسه بالإيجاب، وأخذ نفسًا من السيجارة ويطيح بالدخان مستخدمًا زفيرًا قويًا، أثناء ذلك كان فريق الطب الشرعي منهمكا في رفع البصمات، حيث انتشر الخبر بين الناس شيئًا فشيئًا بطريقةٍ خفية، عليها تجمّع حشدٌ كبيرٌ من الناس في موقع الجريمة التي كست وجهها الآلام المتفرقة، تمس أعماق البلدة.

كانت صفية أم الطفلين تعد الطعام منتظرةً عودتهما، لحظاتٌ قليلة وسمعت فجأة أصوات الضجيج يغمرها الصخب والضوضاء وأصوات عالية مرتفعة خارج المنزل، ثم شعرت بشيء ما يضغط على صدرها يخنق أنفاسها، وتوالت ضربات

تعديل من خلال WPS Office

قلبها في سرعةٍ وحرارةٍ، سرعان ما سمعت طرقات سريعة على الباب، عاليةٌ يشوبها ذعرٌ وهلعٌ، هرولت في لهفةٍ نحو الباب مبتسمةً ظنًا منها أنها طرقات ولديها، تحدث نفسها: ها أتى مهجة قلبي وثمرة فؤادي. إلى أن فوجئت بسعاد جارتها تقف من الباب، مطأطأة الرأس منكسرة النفس قائلة بصوتٍ مزقه الحزن مرتبكا: لقد تعرض مصطفى وحسناء لحادثٍ.

ضربت بيدها على صدرها وحملقت بعينيها الواسعتين قائلةً بصوتٍ مكتومٍ: أين؟ أشارت المرأة بيدها تجاه الحادث،

لا إراديًا دفعت سعاد من أمام طريقها تعدو إلى المكان المقصود، حيث كان على بعد بضعة أمتارٍ، بعينين حمراوين

تعديل من خلال WPS Office

بالدموع، لا تعلم ما أصابهما إلى أن وصلت سريعًا، رأت حشدًا غفيرًا من الناس ورجال الأمن، اخترقت الصفوف تبحث عن طفليها، تتأمل فيما حوالها بأعينٍ زائغةٍ مرتاعةٍ يمينها ويسارها، حاصرها رجال الأمن لمنعها وهي ترتجف في مشهدٍ حزينٍ تتساءل: أين مصطفي وحسناء؟ والدموع تحفر خدها، ثم صمتت فجأة حين أبصرت بطرف عينيها ابنتها على الأرض مفصولة الرأس يحيط بها فريق الطب الشرعي.

نظرت نظرةً شاردةً وظلت شاخصة البصر، ثابتة راسخة، شهقت شهقةً حادة، وسقطت على الأرض لتنقطع أنفاسها ويتوقف نبض القلب ساكنًا رافضًا الحياة تاركة ابنها وحيدًا

تعديل من خلال WPS Office

كأنها تبعث له رسالة.

"لن أتحمل يا بني تلك الحياة، ولن أستطيعَ الوقوف بجانبك، فنبضات قلب الأم لا تستطيع الصمود كثيرًا أمام هذا المشهد المؤلم الذي تقشعر له الأبدان".

تركت الغلام يواجه الحياة ومصاعبها بمفرده، يتلقى صدمةً بعد صدمةٍ، في ذلك الوقت كان رجال الأمن يحاولون إ سعافها، ولكن غادرت الروح الجسد بعيدًا عن عالمنا الموحش و دنيانا الفانية؛ لترقد بجانب ابنتها حسناء.

خيم الصمت في مشهدٍ مؤلمٍ، وقد انتهى فريق العمل من خبراء المعمل الجنائي من رفع آثار الدماء والبصمات، بعدها

تعديل من خلال WPS Office

أمر وكيل النيابة برفع جثة الطفلة إلى الطب الشرعي لتشريحها ويصرح بدفنها، كما تم نقل جثمان صفية تمهيدًا لتسليمها إلى أهلها وذويها.

وجه وكيل النيابة نظره لمعاون المباحث وهو يقول: عند الانتهاء من التحريات تُعرض على النيابة.

أومأ محمود برأسه بالموافقة وهو يقول في إصرار: عُلم وينفذ يا فندم.

حينذاك ألقى شريف سيجارته على الأرض ودهسها بعد أن أخذ آخر نفسٍ منها ولوح بيده مغادرًا، أمر معاون المباحث انصراف الجمع من الناس، وتم رفع الجثتين، ثم أمر

تعديل من خلال WPS Office

باستدعاء والد الطفلين في مكتبه.

تعديل من خلال WPS Office

صدمة الأب

(بعد مرور ثلاث ساعاتٍ من الواقعة)

كان صابر منهمكا في مكان عمله لا يدري بأي شيءٍ طرأ، حين فوجئ برجلٍ من قسم الشرطة يبلغه الاستدعاء، شحب لونه وقف يعتصر يديه بقلقٍ وعلى وجهه علامات استفهام "لماذا؟" ، هز الشرطي رأسه بالنفي: ليس لدي علم.

مضى الرجل برفقة رجل الأمن بخطواتٍ ثقيلةٍ إلى أن وصل مكتب معاون المباحث، طرق طرقةً خفيفةً على باب المكتب، وأدار مقبضه وفتحه بلطفٍ ودلف، وجد نفسه في حجرةٍ متوسطة الحجم، فدخل وهو يقول: خير يا سعادة الباشا؟

أشار له بيده وهو يحتسي قهوته: اجلس يا صابر.

تعديل من خلال WPS Office

جلس على حافة المقعد مرتبكا، وبصوتٍ خفيضٍ: ماذا حدث يا سعادة البيه؟

أخرج معاون المباحث سيجارة من علبةٍ موضوعةٍ على المكتب ودسها بين شفتيه ثم أشعلها ودخنها في حذرٍ موجهًا حنجرته إلى الرجل: أعلم عنك الكثير، أنك رجل مؤمن تؤدي جميع الصلوات في المسجد.

بلغ منه القلق غايته وهو يهز رأسه ويبلع ريقه الجاف: خير يا فندم.

نهض محمود وأخذ نفسًا من السيجارة ونفث دخانها في الهواء واستدار نحوه، وقال بنبرة صوت مشفقة: تعرض مصطفى وحسناء لحادثٍ منذ ثلاث ساعات.

تنهد تنهيدةً حاميةً ولاذ بالصمت، ربت الرجل على كتفه ليهدأ

تعديل من خلال WPS Office

، فاستطرد: توفيت حسناء بينما نُقل مصطفى إلى المستشفى.

انتفض واقفًا وازدرد ريقه بصعوبةٍ وهو يتفرس في وجهه:

كيف حدث ذلك؟

جلس معاون المباحث على كرسيه، وجلس والد الطفلين على المقعد المقابل له وهو يقول: لا ريب في هذا، سنعرفه قريبًا، أما الآن ما عليك إلا أن تتماسك يا صابر، ما زال مصطفى طفلًا، يحتاجك بجانبه الآن خصوصًا بعد...

سحب محمود أخر نفس من سموم السيجارة ثم أطفأها في المطفأة التي على المنضدة، في حين كان الرجل يتأمله بأعينٍ زائغةٍ مرتاعة إلى تعبيرات وجهه، فاستدرك حديثه قائلًا: بعد وفاة زوجتك حزنًا على حسناء.

تعديل من خلال WPS Office

تزحزح إلى الوراء ليسند ظهره على الكرسي وأغمض عينيه في إعياءٍ فسالت دموعٌ حارقةٌ على وجنتيه، انهار صابر في نوبة بكاء هستيرية، وهو يحرك شفتيه ويتمتم بآياتٍ قرآنية تحثه على الصبر، ثم نهض واستدار موليًا ظهره يترنح مترجلًا صوب الباب، وقد دب التعب في جسده، فسقط على الأرض، في سرعة البديهة قرع محمود الجرس ليدخل رجل ا لأمن الجالس خلف الباب ليساعده في حمله ويجلسه على الكرسي وتهدئته، ولكنه فوجئ بأصابع يده تقوست، و مضمومة، شلت يده وانحني ظهره وتجمدت أطرافه واضطرب أمره فطأطأ رأسه في يأسٍ ودموع عينيه تحفر خده.

تريث معاون المباحث وهو يوجه له سؤالًا أخيرًا: ألديك أعداء

تعديل من خلال WPS Office

؟

تلعثم لسانه فهز رأسه نافيًا، حينذاك أمر العسكري ليرافقه لداره.

عند هذا كان الشيخ أحمد أمام المسجد وبعض الجيران يواسون صابر عند دفن زوجته وابنته حسناء، وبعد أداء مراسم تشييع الجثمان إلى مثواه الأخير، توجه إلى المستشفى ليكون بجانب ولده حتي يسترد قوته وعافيته للحفاظ على ما تبقى من أسرته، متحسرًا وحزينًا على ما مضى من فراق ابنته التي كانت لا يفارقها أخيها، وعلي زوجته التي تُعد صمام الأمان له، كيف يواجه كل هذه الصدمات؟ وهل يتغلب على حواسه العقلية في إشباع رغباته الانتقامية؟ أم يتركها للعدالة الإلهية أو القضائية؟ أم ليست

تعديل من خلال WPS Office

تلك آخر المصائب الجلل في حياته!

كان مصطفي يرقد في غرفة المستشفى مستلقٍ على السرير الحديدي ذو العجلات، تحيطه الأجهزة الطبية، جسده النحيل المتصل بأنبوبٍ في ذراعه، وأنبوبٍ آخر في أنفه، وأسلاكٌ متصلة برأسه خارجة من جهازٍ طبيٍ، بينما الجهه اليسرى أنبوب محاليل معلق في ذراعه ومن الجهه الآخرى تقف ممرضة تتابع الحالة وتبدو على وجهها ملامح الحزن، تهمس لزميلتها بصوتٍ يملؤه الأسى قائلة: مازال فاقدًا للوعي لقد دخل في أسبوعه الأول على هذه الحالة رافضًا الرجوع إلى الحياة، هكذا يقول الدكتور المعالج، يبدو من خلال التحاليل والفحوصات أنها تشير إلى ضمور المخ وإلى الفقدان التدريجي لخلايا الدماغ مما يؤدي إلى رفضه الرجوع للحياة!

تعديل من خلال WPS Office

ارتجفت زميلتها وهي تحاول منع دمعة من أن تنحدر على خدها قائلةً: لقد رأى ما لا يحتمله بشر.

فصمتت الآخرى هنيهة، ثم رفعت رأسها، انظري إلى والده المسكين مازال يجلس على كرسيه بجانب سريره وهو يتأمل أعلاه، عينان غائرتان حزينتان شاردتان، لا ينام إلا القليل حين يغلبه النعاس على كرسيه، دائم الصمت.

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

(تحريات المباحث حول الواقعة)

جلس محمود معاون المباحث في مكتبه يقلب الأوراق أمامه، ويطوي أوراقًا أخرى، يحتسي كوبًا من الشاي، يرشف رشفةً من الكوب ويضعه على المكتب، وقام بإجراء مكالمةٍ هاتفية إلى المقدم عاطف رئيس المباحث:

- صباح الخير يا فندم.

= صباح الخير يا محمود.

- بالنسبة لقضية حسناء المذبوحة، قمنا بجميع التحريات المطلوبة وسؤال الشاهدين، وبعد الأطلاع على تقرير الطب

تعديل من خلال WPS Office

الشرعي والمعمل الجنائي، لم نعثر على دليل يقودنا للجاني، مع العلم أن الطفل مصطفى ما زال فاقدًا للوعي فلن نستطع استجوابه في الوقت الحالي لسوء حالته الصحية، وذلك بتعليمات الدكتور المشرف على حالته، ومن الممكن أن تستغرق الغيبوبة أسبوعين في مدة غياب الوعي أحيانًا، أو ربما تطول الفترة أكثر من ذلك، لا يعرفها أحد.

صمت محمود برهة تكلم فيها المقدم عاطف: اعرض نتيجة التحريات على النيابة.

- حاضر يا فندم.

أغلق الرجل سماعة الهاتف، وأراح ظهره للوراء على المقعد،

تعديل من خلال WPS Office

وأخذ نفسًا من السيجارة ثم أطفأها في المطفأة وهو يسرح بذهنه بعيدًا في عهدٍ سحيقٍ محدثًا نفسه: لماذا أقدم الجاني على هذه الجريمة البشعة رغم أن صابر والد الطفلة محبوبًا بين أبناء بلدته، يعرفه الكبير والصغير حيث أن التحريات تشير إلى ذلك. نقل بصره إلى سطح مكتبه ونهض بامتعاضٍ ململمًا أوراق القضية ومرق من باب الغرفة متجهًا إلى سيارته وهو يقول لرجل الأمن المتواجد أمام البوابة: عند عودة النقيب شكري أبلغه أنني ذهبت إلى النيابة في مأمورية خاصة.

أومأ برأسه بالموافقة وأعطاه التحية العسكرية: حاضر يا

تعديل من خلال WPS Office

فندم.

تحرك بالسيارة صوب وكيل النيابة، وعندما بلغ سرايا النيابة، مد بصره إلى طرقةٍ طويلةٍ لا ينقطع فيها التيار المتردد، طلب من عسكري يجلس في حجرةٍ في منتصف الممر، وأمره بأن يبلغ شريف بك بالاستئذان، فانصاع لأمره على مضض وطرق باب المكتب ثم غاب لثوانٍ، سرعان ما برز خارجًا وقال له:

تفضل يا فندم.

دلف الرجل بداخل المكتب حيث بدا له شريف جالسًا مشعلًا سيجارته ويكتب في أوراقٍ أمامه، رفع الرجل بصره نحو محمود ليرحب به، وأشارة بيده له بالجلوس، وضع معاون

تعديل من خلال WPS Office

المباحث ملف القضية أمام وكيل النيابة، الذي التقط الملف وقام بفض ما بداخله وأخذ يقلب الأوراق بعناية وهو يلقي نظرةً سريعة من حينٍ لآخر من فوق نظارته التي تتراقص في نهاية أنفه، ثم طوى الأوراق وهو يقول: هل هذه كل التحريات يا محمود؟

هز رأسه بالإيجاب وهو يتابعه بعينيه البراقتين: تمام يا فندم.

أخذ شريف نفسًا عميقًا: دعنا نستجوب الشاهدين، هل تم استدعائهما؟

- تم يا فندم قبل مجيء سيادتكم.

قام وكيل النيابة بقرع الجرس لاستدعاء العسكري الواقف

تعديل من خلال WPS Office

أمام باب المكتب وأمره بإدخال الشاهد الأول المبلغ عن الحادث، لحظات قليلة لم تستغرق الدقيقتين، خطا حسين داخل المكتب وألقى التحية على وكيل النيابة الذي بادله التحية مبتسمًا قائلًا له: تفضل اجلس. جلس الرجل على المقعد المقابل لمحمود وهو يرتجف بعض الشيء، شرع وكيل النيابة بطرح بعض الأسئلة عليه، بدأ بالأسئلة التقليدية:

اسمك؟

- حسين عبد المعطي محمد.

= كم سنه؟

- اثنتا وخمسين.

تعديل من خلال WPS Office

= ماذا تعمل؟

- أمتلك محل أدوات صحية.

تنهد وكيل النيابة وهو يقول: قُص علينا ما رأيت مع مراعاة عدم نسيان أي شيء.

هز حسين رأسه بالموافقةِ وشرع في الحديث، كنت عائدًا حوالي الساعة الرابعة والنصف مساءً تقريبًا، وكنت برفقة سعد ابن أخي، الذي يعمل معي في المحل، شعرت بشيءٍ ما مخيف على أحد جوانب الطريق، وراودني شعور بالقلق.

قاطعه وكيل النيابة قائلًا: ماذا لفت انتباهك إذًا وقتذاك؟ وهل رأيت شيئًا؟

تعديل من خلال WPS Office

ندت عنه تنهيدةٌ عميقة وأجاب، سمعت صوت خطوات أقدامٍ وهرولة غير عادية.

مد المحقق يده وأخرج سيجارة لحسين، هز الرجل رأسه بالنفي، لا أدخن، فأعطي سيجارة لمحمود الذي أخرج القداحة وقام بإشعال سيجارة وكيل النيابة، ربت على يد النقيب واستدار بنظره إلى الشاهد وهو يقول في حزم: أكمل.

عند سماعي تلك الأصوات الغريبة، تحركت تجاه الصوت وفوجئت بالحادث، فتجمدت عروقي لما رأيت من بشاعة المنظر.

قاطعه وكيل النيابة في حدة: ماذا رأيت بالضبط؟

تعديل من خلال WPS Office

ازدرد الرجل ريقه الجاف وهو يقول بصوتٍ متهدجٍ يملؤه الأسي والحزن: رأيت حسناء الطفلة على الأرض مذبوحة، مفصولة الرأس!

تأزم الجو بالصمت وتبادلوا النظرات، وتجلت في الأعين نظرات اهتمام، عنذاك أخذ شريف نفسًا من السيجارة ثم نفث دخانها مستخدمًا زفيرًا قويًا، ورماه بنظرة تسائل فاستطرد: هل تعرف المجني عليها ووالدها معرفة شخصية؟

أدخل الرجل يده في جيبه وأخرج منديلًا يجفف به دمعة انزلقت على وجينته بلا إرادة: من منا لا يعرف صابر؟، الرجل المسكين ذو السمعة الطيبة، مؤدي فروض الصلاة في أوقاتها

تعديل من خلال WPS Office

المحب للناس. - إذن بماذا تفسر الحادث وبشاعة الجريمة

رغم أنك ذكرت أن صابر وطفليه ليس لهم أعداء؟

ندت عنه تنهيدة حامية أخرى تشوبها دهشة: لا أعلم، بل كل

البلدة تتساءل نفس السؤال في حيرة، صمت الشاهد برهةً،

ثم رفع حاجبيه وهو يقول: لكن؟

رنا إليه معاون المباحث باهتمام، فحدقه بنظرةٍ شاردة وهو

يسمع بتمعن، قطب وكيل النيابة كأنه يشد قوس حاجبيه ورد

في دهشةٍ: ولكن ماذا؟

فمضى حسين يعيد عليه: نسمع همسات الناس تقول وراء

تلك الجريمة تجار أعضاء بشرية وخطف أطفال.

تعديل من خلال WPS Office

استدار شريف وبنظرةٍ منه حانت نحو معاون المباحث، نظرة ذات معنى، ثم عاد نظره إلى الشاهد متسائلًا:

هل حدثت مثل هذه الجريمة في البلدة سابقًا؟

راح الرجل يجول ببصره في الفراغ، ثم أضاف في تهكمٍ تشوبه مرارة: سمعنا بمثل هذه الجرائم في قرية بالقرب من بلدتنا، وانتشرت الإشاعات في الآونة الأخيرة.

انزعج وكيل النيابة في باطنه، ومرت به لحظة كدر مستفسرًا:

بماذا تفسر ذبح حسناء، ولِمَ لمْ يقدموا على خطفها؟

- لا أعرف يا جناب البك.

تعديل من خلال WPS Office

= ماذا بعدما رأيت الطفلة ملقاة على الأرض غارقةً في دمائها ؟

- أخرجت هاتفي على الفور وقمت بالاتصال بالشرطة والإسعاف.

انحنى شريف برأسه على المكتب شارد اللب ساهم النظر، ثم رمقه بنظرةٍ متعمقة: هل لديك أقوال أخرى؟

- لا.

قام شريف بقرع الجرس ليدخل العسكري الجالس بالخارج وفي هذا الصدد أمر الشاهد بالتوقيع على أقواله.

وثب الرجل واقفًا يوقع على أقواله، ثم رفع إليه عينيه وقال

تعديل من خلال WPS Office

في هدوء: أي أوامر أخرى يا سعادة البك.

ابتهج وجه شريف بابتسامةٍ عريضة: سأستدعيك إن احتجت إليك في حالات الضرورة.

تابعه بعينيه الحادتين، تحت أمرك دائمًا، وخطا نحو الباب ثم أمر وكيل النيابة العسكري إدخال الشاهد الثاني.

وما أن دخل سعد، تعلقت عيناه بوجه حسين الذي غادر المكان وأرض المكتب ترتج تحت قدميه، دلف الشاهد الثاني بداخل الحجرة وتسمر أمام سعادة البيه يلوح في وجهه الجد والاهتمام، في حين كان شريف يكتب شيئًا في أوراقٍ أمامه وهو يرشف رشفةً من قهوته، ونظرة منه حانت نحوه، أشار

تعديل من خلال WPS Office

إليه برأسه ليقترب، بدأ سعد يتنقل بخطواتٍ هادئة وئيدة، أشاح له بيده للجلوس، جلس على المقعد ببطءٍ شديد مطأطأ الرأس قبل أن يمعن النظر في كل شيء، في حين طوى وكيل النيابة أوراقًا كانت في يده، ونزع النظارة من على عينيه وسدد إليه نظرةً فغشيت الجلسة صمت دقيقة، بعدها وجه إليه الأسئلة التقليدية: اسمك؟ سنك؟ وظيفتك؟

ثم قص عليه ما ترامى إليه مما شاهده، وعندما فرغ وكيل النيابة من استجواب سعد، أمره بالتوقيع على أقواله وانصرف خارج المكتب.

وقبل أن تخرج كلمة من شريف، دخل العسكري تلوح في

تعديل من خلال WPS Office

ثغره

ابتسامة، طلب منه كوبًا من الشاي ونظر إلى النقيب محمود وقد لمعت في عينيه نظرة قائلًا: أعتقد أنك تحتاج إلى كوبٍ من الشاي، الأمر يتطلب مثل هذا الكوب الساخن، لقد دب التعب في أعضائي. على الفور أشار شريف بالسبابة و الوسطى إلى رجل الأمن، ولقد فهم مقصده. تنهد المعاون وقال بصوتٍ تشوبه رنة يأسٍ وهو يلتمس رأسه: نحن أمام قضية صعبة للغاية في فك شفرتها، ولكن أمامنا خياران، قد يكون الجاني من تجار الأعضاء البشرية أو خطف الأطفال، والسؤال الآن، لماذا أقدم الجاني على ذبح الضحية بهذه

تعديل من خلال WPS Office

الطريقة النكراء؟ قطعًا أنه أمر غريب، لأن من المتعارف عليه في مثل هذه الجرائم بأن تُخطف الضحية ويتم تسليمها حية إلى متخصصين، ربما يكون تحليل ضعيف؛ لأن القاتل أقدم وقتل الضحية، وبذلك لم يستفِد الجاني!

ران عليهما صمتٌ ثقيل، ابتسم وكيل النيابة في إشفاقٍ ومضى يعيد عليه: وما هو الخيار الآخر؟

استعاد ريقه الغائب بصعوبة وهو يتفرس في وجهه، فتابع في إصرار: هو أيضًا أقل ضعفًا من الخيار الأول، بل معدوم، وهو أن الذي أقدم على هذه الجريمة بدافع الأخذ بالثأر من تلك العائلة، ولكن باتت شبة مستبعدة، لأن التحريات أثبتت

تعديل من خلال WPS Office

عكس ذلك، أسرة صابر تتمتع بقدر كبير من السمعة الطيبة وليس لها أعداء.

في هذه الأثناء، طرق باب المكتب ودلف بداخله العسكري حاملًا كوبين من الشاي على صنية، شكره الرجل والتقط كوب الشاي وعاد يقول: يبدو لي أن الاحتمال الأول هو الأقرب، وهذا يجعلنا نستبعد الاحتمال الثاني ونقر بأن الخيار الأول هو الأقرب للصواب ولكن به لغز، وقطعًا سوف نعرفه عند استجواب الطفل مصطفى الذي يعد الآن العمود الفقري للقضية ومن خلاله تتضح لنا الأمور، ولا تنس تقرير المعمل الجنائي الذي أثبت تواجد بقع دم مختلطة مع الضحية

تعديل من خلال WPS Office

لشخصٍ آخر، فهذه هي النقطة الأهم، والأضعف في نفس الوقت للوصول للجاني، أي إذا اشتبه في شخص ما يتم مطابقة تحليل دم ال DNA لهذا الشخص مع بقع الدم التي وجدت مع الضحية، في الواقع هذا خيط ضعيف الوصول إليه، ولكن علينا الآخذ به، ونضع كل الاحتمالات في أذهاننا، جرى المعاون سمعه على الكلام الذي بدر من سعادة البيه وكيل النيابة، وطفقت أفكاره في رأسه، نكس شريف رأسه نحو المكتب وارتدى نظارته المستديرة بنظرته الواثقة، وراح يدون شيئًا في ورقةٍ أمامه وهو يقول: عليك يا محمود أن تعين حراسة على الغلام، وهذا تصريح من النيابة، من المحتمل أن تكون حياته في خطر لأنه الشاهد الأساسي

تعديل من خلال WPS Office

والمجني عليه في القضية، لحين أن يفيق ويستطيع المثول أمامنا.

رمقه بطرفٍ خفي وهو يمد يده يلتقط التصريح.

- قرارٌ صائب كنت أود أن أشير به على سيادتكم.

نهض الشاب وابتهج وجهة بابتسامةٍ صافيةٍ مستأذنًا البك ثم غادر المكتب.

تعديل من خلال WPS Office

(المستشفى الجامعي فجرًا)

الساعة تشير إلى الثالثة فجرًا، حاوط الصمت كل أرجاءها، كان المكان هادئًا يلفه السكون المفزع، وحجرات المرضى التي تفوح منها رائحة تملأ أركان المستشفى، تلك الرائحة النفاذة التي يعتاد استنشاقها الزائرين، الحركة هادئة قد تكون منعدمة.

في استراحة الاستقبال، ساحة البهو التي يغمرها ضوءٌ خافت ، تجلس ممرضتان في مدخل الدور الثاني الذي يرقد فيه مصطفى، تبادلتا أطراف الحديث، ثم غلبهما النعاس، أحداهن تجلس على كرسيها وتضع كف يديها على المنضدة وتنحني برأسها لتلصق جبهتها به، بغتة تصاعد النعاس إليها، بينما

تعديل من خلال WPS Office

الأخرى جالسة على الكرسي تسند رأسها للوراء ملتصقة

بالحائط مستغرقة في النوم على بعدٍ ليس ببعيدٍ يجلس عسكري الحراسة أمام غرفة الغلام الذي تم تعيينه لحراسته، بدا جاحظ العينين، راح يدني بصره من المكان يتفقده نبتة نبتة، ينظر يمنة ويسرة في صمت، أما صابر كان جالسًا على كرسيه بجوار ابنه في الحجرة، وهو ماسكا كتاب الله بيده اليمنى، والأخرى ساكنة دون حراك، سرعان ما طبع قبلة عليه ثم وضعه على المنضدة وأراح ظهره للوراء وأغلق عينيه متحركة من تحت جفنيه حالمًا، استيقظ الرجل مفزوعًا على صراخ ابنه الذي انتابته نوبة هيجان، محركا جسده متأرجحًا يمينًا ويسارًا وبدأ في نزع أنبوبٍ كان مستقلًا داخل تجويف أنفه، وآخر مغموس في ذراعه الأيمن، علي حين غفلة انتفض

تعديل من خلال WPS Office

صابر واقفًا ينظر إليه وجلة مرتاعة، محاولًا تهدئته واستقراره في وضعيته، لكنه عجز عن ذلك بسبب يده المشلولة التي تعوقه في السيطرة على الغلام. الأمر الذي جعله يهرول خارج الغرفة ليستعين بحارس الأمن الذي فوجئ بعدم وجوده، ربما ذهب إلى المرحاض.

ركض الرجل خارج الحجرة في الممر المؤدي إلى آخر ردهة الاستقبال، يستغيث بالممرضة وهو ينادي عليها بصوتٍ مكتوم متضرع مرتجف ورنة حزينة كأنها رنة بكاء مكتوم، تعثرت قدماه فسقط على الأرض وصدم إحدى ركبتيه، جاهد بالنهوض، فخانته قواه وخذلته قدميه من تأثير آلام ركبتيه، ومن فظاعة الصدمة أخذ يزحف على ركبتيه كأنه يحبو مستخدمًا يده بينما الأخرى المصابة بالشلل لاصقة نحو

تعديل من خلال WPS Office

صدره بدون حركة متجهًا للممرضة في نهاية الطرقة.

ظهر عسكري الحراسة عند خروجه من المرحاض يعدل هندامه ويحك جسمه، أبصر صابر، ارتاع من منظره وهو يزحف مفزع الهيئة وسماعه صراخ الطفل بصوت صياحه يدوي بين جدران الغرفة، صيحة خوفٍ خافتةٍ، ركض مهروًلا ليستطلع الأمر خلف الرجل الزاحف الذي ارتكز على ركبتيه، يشير بيده تجاه الممرضة وهو يقول في تهكمٍ خفيف بصوتٍ خفيض وقد نشع عرق الخوف جسده: استدعي الممرضة، ابني (بيموت)، ثم استدار عائدًا على حالته صوب غرفة المريض، سيطر الحارس على حواسه وقاوم اهتياجه المفاجيء ومضي سريعًا نحو الممرضة وعاد برفقة ممرضتان إلى الغرفة قبل وصول صابر، حيث كان الغلام ملقىً على

تعديل من خلال WPS Office

الأرض بجانب السرير وقد نزع الأنابيب المتصلة بجسده،

حمله رجل الأمن ورفعه فوق السرير بصعوبة بمساعدة الممرضتان في محاولة تهدئته، أسرعت الممرضة بحقنه في ذراعه بسائل مهدئ ليهدأ بعض الشيء، حينذاك برز من الباب الأب المغلوب على أمره داخل الحجرة زاحفًا ببطء، انتبه إليه عسكري الحراسة فقدم له يد المساعدة على النهوض مستندًا عليه وأجلسه على الكرسي بجوار ابنه، وعيناه حمراء ملتهبة، امتزج فيهما حزن يمضغ أحشائه، فرمى بصره ناحية الغلام وهو يزدرد ريقه، وران صمت ثقيل، كانت عينا الصغير تحدقان في سقف الغرفة، ونظراته المتسعة شارد اللب ساهم النظر تظهر الهالات السوداء تحت عينيه، عاد إلى الصراخ مجددًا ولكن هذه المرة حاول القفز بلا وعي، تسارعت

تعديل من خلال WPS Office

الممرضة بحقن ذراعه الآخر بمادةٍ منومة، رويدًا يسترخي جسده النحيل ثم يَقَط في نومٍ عميق، تسحبه إلى قعر السكون وعدم الإدراك، انهمر الأب يبكي بنشيجٍ متقطعٍ عالٍ، ظل صابر هكذا عند تجلي نسمات الفجر تتناثر قطرات الندى بهدوءٍ على الأرض ثم تشرق شمس الغد بأشعتها الدافئة فتخترق زجاج النافذة منعكسة فوق جسد مصطفى تبث في أحشائه طاقة روحانية تخفف آلامه وتجفف دموعه، تبث بداخله روح العزيمة معلنًا القدرة على المواجهة بعزيمه وإرادة.

اقترب الرجل من أذن ابنه يتلو آياتٍ من الذكر الحكيم بصوتٍ خافتٍ غير مسموع، دلت عليه حركة شفتيه، تخرج من فمه من تلقاء ذاتها دون إدراكٍ، تغذي الجسد والروح في آنٍ واحد،

تعديل من خلال WPS Office

ظل هكذا حين أرهق السمع وأصغى لوقوع الخطوات القادمة من الخارج تشق طريقها نحو الغرفة، لحظات معدودة والقادم برز من الباب في معطفٍ أبيض، وظهر وجه الطبيب تعلو ثغره ابتسامة، مرق الطبيب داخل الغرفة واستقر بصره على وجه الطفل وهم بإلقاء نظرةٍ سريعةٍ على المريض لإجراء بعض الفحوصات وهو ينظر إلى الرجل الذي باتت لا تفارقه الدموع، دنا الطبيب من الأب المغلوب على أمره وربت على كتفه قائلًا سيكون بخير، الأمر يحتاج إلى وقتٍ وصبر، حيث أنه تعرض لصدمةٍ هائلة، غير أنه يعاني من مرض "الهيموفوبيا" ذلك المرض الذي يطلق عليه رهاب الدم، فهو مرض عندما يتملك من الإنسان لا يستطيع المريض السيطرة عليه عندما تحدث الحالة النفسية الناجمة عن رؤية الدم

تعديل من خلال WPS Office

بمضطرب ما يسمى

بالعصب الحائر نتيجة للتوتر والقلق الشديدين. وبالطبع ذلك العصب متصل بطريقةٍ أو بأخرى بعضلات القلب، مما يؤدي إلى اضطرابها وتناقصها، ويصاحب ذلك نقصٌ شديد في الأكسجين الواصل إلى الدماغ، فيقل في الدم ويبدأ الإنسان في فقدان وعيه تدريجيًا أو حدوث حالة الإغماء. إنه وضعٌ صعبٌ جدًا بالتأكيد وعلينا مراعاة أن مصطفى نظرًا لكل ما يعاني منه من رؤيته لدماء حسناء التي تعد أقرب الناس إليه، كما أن المريض الآن يحتاج قوة روحانية تبث بداخله الاطمئنان متمثلة بك، فعليك أن تكون قدوة له متماسكا، فهذا سوف يساعدنا كثيرًا لاجتياز تلك المرحلة الصعبة الفارقة فكن مطمئنًا. سرت في قسمات الرجل رعدةٌ وهو

تعديل من خلال WPS Office

يحرك رأسه متفهمًا، ثم استدار الطبيب ونقل بصره إلى الممرضة وتقلص وجهه، قال لها بصوت تبدل على حين فجأةٍ غاضبًا تعلوه حدة: متابعة الحالة باستمرار وتبليغ عن حدوث أيةِ تغيرات،

فالحالة الآن في مرحلة استيقاظ الذاكرة، فيجب متابعتها وتهدئتها بالحقن بمادة مهدئة، وإذا لزم الأمر بمادة المنوم تدريجيًا.

رفعت حاجبيها وهي تقول: رجال الأمن يستفسرون عن الحالة إذا كانت قادرة على الخضوع للاستجواب، لعلمهم أن الحالة أفاقت من فقدان الوعي البارحة.

قال في تهكمٍ بصوت يملؤه الغضب واللوم الشديد: ليس الآن، الحالة مازالت غير مستقرة، زفر نفسًا طويلًا وغادر الغرفة

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

مشيرًا بالسبابة مؤكدًا عليها الحرص على إبعاد الحالة عن رؤية الدماء أو لون الدم، وأيضًا الأدوات والمستلزمات الطبية.

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

(دائرة البحث)

في مكتب وكيل النيابة جلس شريف مرتديًا بذله كحلي غامق منحني الرأس على المكتب، منهمكا في أوراق القضية التي أمامه يقلب أوراقها ويحتسي قهوته في عصبية، يرشف من فنجان القهوة رشفة ويضعه أمامه، بينما كان محمود جالسًا على المقعد المقابل له، شاحب الوجه شارد الذهن، فقد القدرة على ربط أفكاره، لاح عيني وكيل النيابة في تردد وحيرة ونقل بصره إلى معاون المباحث يوقظه من سرحانه قاطعًا خيوط أفكاره المتشابكة متسائلًا: إلى أين وصلت التحريات؟

انتبه الرجل لكلمات شريف كأنه نغص عليه صمته وخلوته وهو يزدرد ريقه: لم تصلني أية معلومات تقودنا لاكتشاف

تعديل من خلال WPS Office

الجاني، قاطعة رنين هاتف شريف، الذي سارع بالرد ثم رسمت على ثغره ابتسامة قائلًا: تمام.... متى؟.... سوف أحضر قرابة الساعة... شكرًا.

ثم أغلق الهاتف وأعاد النظر إلى محمود مبتسمًا، مكالمة من المستشفى التي يرقد بها مصطفى، تبلغني عن استقرار حالة المريض بعض الشيء وبإمكانه الخضوع لاستجوابٍ مع مراعاة عدم الضغط عليه.

رمقه بطرف عينيه وابتسم وقال بود، لعلنا نجد شيئًا يساعدنا للوصول إلى الجاني. خرجت ضحكة عالية من وكيل النيابة ذات معنى وهو يطوي الأوراق أمامه قائلًا: لا تسبق الأحداث يا عزيزي.

وثب واقفًا بعد دس الأوراق في درج مكتبه يتأهب للنزول متجهًا إلى المستشفى برفقة معاون المباحث، حيث كان

تعديل من خلال WPS Office

الطبيب المختص في استقبالهما، صافحه شريف مبتسمًا، ثم شرع الدكتور في الحديث موجهًا حنجرته إلى وكيل النيابة: يجب مراعاة عدم الضغط وإجهاد الحالة مباشرةً، كما أن الغلام ما زال لا يعرف بوفاة والدته حتى الآن.

واصلوا السير حتى وقفوا أمام الغرفة، عنذاك انتصب عسكري الحراسة واقفًا تقديرًا وإجلالًا، وأعطي التحية العسكرية في جدية معهودة، ثم فتح الباب، خطا شريف بداخل الغرفة بصحبة محمود والطبيب، في هذه الأثناء سارع صابر

بالنهوض عندما رأى وكيل النيابة الذي أشار إليه بالجلوس، سحب المحقق كرسيًا بجانب سرير مصطفى من الجهة اليمنى ، وأمر حارس الأمن بكرسي يجلس عليه المعاون، نظر إلى الطفل مبتسمًا وربت على يده يشيع فيه الاطمئنان

تعديل من خلال WPS Office

والدفء والذي ظهر عليه الإعياء النفسي ونظراته المتسعة الصامتة الشاردة، مزموم الشفتين محتقن الوجه، فاستدرك قائلًا: ألف سلامة يا بطل، أعلم عنك الكثير فرغم صغر سنك إ لا أنك قوي تتحمل، ولن أطيل عليك.

هز رأسه منصتًا، فاستطرد وكيل النيابة: قص علينا ما حدث.

فمضي الغلام يعيد عليه بصوتٍ خفيضٍ متحجرٍ تخنقه العبرات، والدموع تذرف من عينيه..

قاطعه وكيل النيابة وهو يتابعه بعينيه البراقتين، تنهد في صبر وقال: هل تعرف هؤلاء الرجال الأربع؟

هز مصطفي رأسه يمينًا ويسارًا بالنفي: كانوا ملثمين.

- هل رأيت أية علامةٍ في أحدهم تساعدنا على الوصول إليهم ؟

تأزم الجو بالصمت وتبادلوا نظرات القلق، بعدها تنهد الغلام

تعديل من خلال WPS Office

تنهيدة حامية مكملًا بلسان متعثر: ألقيت ضربة في عين رئيسهم نزفت دماء بغزارة.

وهنا بدأت نبضات قلبه ترتفع وضيق في التنفس ثم استأنف الحديث: كشف عن وجهه قليلًا فرأيت رسمة وشمة أسفل عينيه اليسرى، ربما وشمة على شكل دمعة!

ربت وكيل النيابة على كتفه: سؤال أخير، ذكرت للتو أنهم تجار أعضاء بشرية، فكيف عرفت ذلك؟

- عندما سألتهم في خوفٍ ماذا تريدون، ابتسم أحدهم ابتسامة باهتة وهو يقول "سوف أبيعك قطع غيار".

تابعة الرجل بعينيه الحادتين وهو يقول: نكتفي بذلك، وإذا تذكرت شيئًا أبلغني على الفور.

تعديل من خلال WPS Office

نهاية التحقيق

(الساعة تشير إلى الثانية عشر ظهرًا)

كان يجلس وكيل النيابة في مكتبه، يقابله النقيب محمود ماسكا قلمًا يضع بعض النقاط على ورقة أمامه، أما شريف فهو منهمكا، يقلب أوراقًا أمامه ويخطط بقلمه، لا يحس بشيء من حوله، يرتدي نظارته، همس له بلهجة المتسائل: إلى أين وصلت بهواجسك؟ ندت عنه تنهيده عميقة، وقال في إسهابٍ كأنه يلقي فحصًا متأنٍ، توصلت إلى نقطة مركزية قاطعه قائلًا: تفكر في ذاك الرجل صاحب الوشم أسفل عينيه اليسرى أليس كذلك؟

تعديل من خلال WPS Office

اعتدل معاون المباحث في جلسته واستقام صوته: نعم تلك النقطة التي تقودنا إلى الجاني وتنتهي القضية.

أشاح إليه شريف بالسبابة قائلًا: لا تنس صعوبتها وربما تزداد غموضًا، إنما إذا عثرت على صاحب الوش وتطابق تحليل المعمل الجنائي ببقعة الدماء التي وجدت على جثة حسناء بذلك الشخص، فهذا يعني أنه الجاني.

كان محمود يصغي بانتباه وهو يقول بحرارة وحماسة: سوف أكثف تحرياتي في هذه النقطة.

هنا طفق وكيل النيابة يشرح في إصرار: نحن أمام قضية يوجد بها ضعف في الأدلة، ولكن نتشبث بحطام الزوارق وشراعنا الأمل ثم نتشبث بأي خيط يقودنا إلى الجاني.

أخذ النقيب نفسًا من الدخان وقال بصوتٍ حماسي: نحن على أعتاب طي ملفات القضية والعثور على الجاني.

تعديل من خلال WPS Office

ابتسم الرجل وهو يرشف رشفة من قهوته: عليك الآن تكثيف تحرياتك وجمع المعلومات. ثم صمت في وقارٍ ورصانة.

هز المعاون رأسه متفهمًا: سوف أكثف جهدي في الإطلاع على صور المسجلين في خطف الأطفال في الآونة الأخيرة بجميع أقسام المديرية، ومسجلين تجار الأعضاء بشرية، باحثًا عن صاحب الوشم.

قاطعه رنين هاتف المكتب، سرعان ما قام المحقق بالرد وانتابه اهتمام من الطرف الآخر على الهاتف وعدل من جلسته: أمر سيادتكم.

فغشى الجلسة صمت دقيقةٍ عندها عَبَس وقطّب ما بين حاجبيه، ولكن أوشكت على الانتهاء، تغيرت ملامحه لتوحي بالغضب بارز الوجنتين، قاسي الملامح قائلًا بصوتٍ خفيض: تمام يا سعادة البك علم وينفذ.

تعديل من خلال WPS Office

طأطأ شريف رأسه وهو يضع سماعة الهاتف، تزحزح إلى الوراء يسند ظهره على كرسيه، ومضت هنيهة صمت، في حين رماه النقيب بنظرة تسائلٍ، دلت على عنف الأفكار التي تضطرب في رأسه، هل ثمة أحداثٍ وقعت؟

فراح وكيل النيابة يدخن السيجارة بسرعة عصبية وغمغم في يأسٍ وهو يلملم أوراق القضية أمامه: صدرت أوامر بطي أوراق القضية ويحفظ التحقيق في هذا الشأن ويقيد ضد مجهول!!

توهج في عينيه بريقٌ مخيفٌ ثم زفر وهو كظيم: ماذا؟!!!

أعاد شريف كلمته: أوامر عليا.

نكس محمود رأسه وصدر صريرًا من بين أسنانه، لقد أوشكت على القبض على القاتل!!

أراح الرجل ظهره للوراء على المقعد وهو يقول: يبدو أننا أمام

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

قضية ليست عادية!

نهض النقيب منحنيًا واضعًا يداه على المكتب قائلًا في ضيق وتبرم:

وما هي مبرراتهم؟

- لا توجد أدله قوية، غير أن مصطفى ما زال طفلًا مريضًا بالهيموفوبيا، أو رهاب الدم، وهذا مرض نفسي تصاحبه حالة نفسية ناجمة عن رؤية الدم، مستندًا على أن لم تعد أقواله صائبة وأيضًا مستندًا إلى أنه لا توجد براهين معيارية وواقعية تؤكد الاستناد إليها.

مط معاون المباحث شفتيه ونفخ بحرقة: لا، ليس هذا المبرر، وإنما الغلام وعائلته فقراء، مثلهم لم يعد لهم مكانًا في دنيانا الفانية.

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

مع بداية السويعات الأولى لشروق الشمس فيها تتجلي اشعتها الحمراء، كان مصطفى واقفًا أمام النافذة الزجاجية يتأمل أشعة الشمس تشرق، بينما ظلام الليل الدامس ينسحب مطويًا، يا ترى تلك البداية أم النهاية، فهمًا الآن الشروق والغروب في آن واحد. ظل الطفل يتأمل حياته القادمة عبر النافذة الزجاجية إلى أن حجبت عنه الرؤية تدريجيًا بسبب المياه البخارية التي التصقت على الزجاج لتتكون الشبورة الكثيفة والعوالق المائية بالهواء والتي نتج عنها حجب الرؤية، ثم شرع في رسم خطوطًا على النافذة الزجاجية، انهمك في رسم خطوطٍ على هيئة أشكال

تعديل من خلال WPS Office

وأشخاص تقترب من وجه حسناء الجميلة تلوح بيديها له كما كانت تفعل، ووالدته التي كانت تحتضنه عند عودته من المدرسة، سرعان ما فقد الحنان والحب عندما صدم بخبر وفاة والدته حين أخبره صابر بعد تحسن حالته،

صدمة تلو الأخرة توضع في خزانته في بداية طفولته، ظل أمام النافذة إلى شروق الشمس التي تعكس أشعتها لتخترق النافذة وتسلط أشعتها على عينيه، فسالت دموعٌ حارقة على وجنتيه.

عنذاك كان والده يلملم أشياءه استعدادًا للرحيل بعدما كتب له الطبيب تصريح الخروج منذ أيام، ونصحه الطبيب المعالج بترك بلدته لتجنب أن تسوء حالته الصحية، عليها اتخذ صابر قرار الرحيل وقام ببيع منزله واستأجر منزلًا في المدينة بمساعدة صديقه فتحي الذي انتقل إلى المدينة مؤخرًا برفقة

تعديل من خلال WPS Office

زوجته وابنه عماد صديق مصطفى في المدرسة، كما استأجر محل صغير للعمل به يعينه على مشقة الحياة بعدما عجز عن العمل نظرًا لإصابة يده بالشلل، عاد الغلام إلى الحياة مرة أخرى متجهًا إلى المدينة برفقة والده، يذوب بين زحامها وإضاءاتها المبهرة، ذلك الانبهار لن يداوي علله ولا يخفف من ألامه، ظل منكسرًا وحيدًا يبعد عن المجتمع رغم ازدحامه، عاد الغلام لاستكمال دراسته وقد بدت عليه بوادر الانتقام

وانزعج والده في باطنه ومرت به لحظة كدر لم يفطن إليها، أقبل على ابنه مكتفيًا بهمسٍ بلهجة الناصح وقد ساوره قلق: يا بني عليك بالصبر، واجعل قوتك في دراستك واترك العدالة الربانية التي سوف تأخذ حقنا إن لم تأخذه العدالة البشرية، وإذا أردت الثأر لا تنسَ العدالة الإلهية ولا تجعل رغبة الانتقام تعكس سلوكياتك وتؤذي من هم أقرب الناس منك، كن صبورًا

تعديل من خلال WPS Office

حكيمًا ولا تقنط من رحمة الله.

واستمر يبكي بنشيج مسموع فتابع في إصرار: فأنا الآن سرت شيخ طاعن في السن.

وقف أمام أبيه ينظر إلى صورته بإمعانٍ، ترقرقت عيناه لما وصلت إليه حاله وانكب عليه ولثم يديه، هنا بث الرجل الصبر والحكمة بداخل ابنه الذي أيقن أنه أمام بداية حياة وأ نها دار ابتلاء وأن القوة ليست قوة بدنية فحسب، ربما أراد و الده أن يتسلح بسلاح العلم والحكمة. ندّت عن الطفل زفرة طويلة حارقة وهو يقول: لابد أن أكرس جهدي في استكمال دراستي.

سرعان ما أنهي دراسته الابتدائية ثم المرحلة الإعدادية بتفوق ثم التحق بالمرحلة الثانوية، صار شابًا وسيما يبدو على هيئته الغموض، كان وحيدًا يبعد عن المجتمع وعن

تعديل من خلال WPS Office

زملائه، لا أحد يعلم ما بداخله سوى عماد الذي انتقل معه لنفس المدرسة، رغم ذلك كان مصطفى قليل الحديث مع صديقه، وكانت نظرات أصدقائه في المدرسة له توحي بأنه معقد نفسيًا، لفت أنظار الجميع إليه كما لفت إليه أنظار سارة، الطالبة الجميلة ذات العينين الخضراوين والشعر الأشقر الحريري، والقوام الممشوق الذي يدعو الجميع للاهتمام بها، كان لا يعبأ هو بكل هذه الأشياء!

تعديل من خلال WPS Office

(المدرسة صباحًا)

في استراحة فناء المدرسة كان الفتى يجلس وحيدًا كعادته دائمًا شارد الذهن يحمل ورقةً في يده يدون فيها انطباعاته، نظرت سارة من على بعد بضعة أمتارٍ تحدث سلوى وتشير بيديها تجاه مصطفى قائلةً: ماذا يكتب في تلك الورقة؟

بدت عنها تنهيدة باسمة: يبدو أنه جواب غرامي.

عقدت سارة حاجبيها ورمتها بنظرة اشمئزاز، فتعالت ضحكات صديقاتها قائلة: يبدو أنكِ .....؟ ثم أطلقت ضحكة ع الية أخرى على حين سارعت الفتاة بتوجيه لكمةً بيديها على

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

كتفها معبرةً عن غضبها وهي تقول: لم أقصد هذه الهلوسة التي نبتت في فراغ رأسك السوء.

صمتت برهه فاستطردت: أرى أن مصطفى يبدو أن وراءه شيء يخفيه منذ إلتحاقه معنا في هذه المدرسة، دائمًا مزموم الشفتين محتقن الوجه، والشرود ونظراته الغامضة المتسعة تلاحقه في كل حين وآن، لم تستطع سلوي كتمان طاقتها الإنتاجية فأفرغتها في ضحكةٍ مجلجلةٍ مرةً أخرى: يبدو يا صديقتي أنكِ أصبحتِ محللة نفسية.

رفعت سارة إحدى حاجبيها ثم زمجرت: بل يبدو أنتِ لا تشعرين.

رسمت على ثغرها ابتسامة قائلة: لم أراكِ يا صديقتي تهتمين بأحدٍ رغم أن كل الطلاب تتمنى رضاكِ.

راحت تنظر إليه بإمعانٍ: لا أعرفه، وإنما أشعر أن الفتى

تعديل من خلال WPS Office

محتاج إلى المساعدة في شيءٍ ما، وجهه غريبًا لإنسان يصعب أن تخترق ما وراء عينيه.

دعك يا صديقتي من تلك الهواجس، فنحن على أعتاب نهاية المرحلة الثانوية التي تحتاج إلى جهد وتركيز، أمازلتِ متفوقة متربعة على عرش القمة؟

ابتسمت الفاتنة في هدوء ورصانة، على حين لوحت سلوى بيديها تجاه الفتى.

- انظري لقد نهض مصطفى تاركا تلك الورقة بجانبه، على ما يبدو أنه متجهًا صوب المرحاض، هذه فرصتنا لمعرفة ما تحتويه هذه الورقة.

فحدقتها الفتاة بنظرة عتابٍ ودهشة وقالت في استنكار: لقد جننتِ يا صديقتي العزيزة، ليس لنا الحق في الاطلاع على خصوصيات الغير.

تعديل من خلال WPS Office

تأزم الجو بالصمت لدقيقتين، لم تتمالك سلوى السيطرة على هواها الذي يجذبها نحو التطلع عما يخطر في ذهن الفتى الغامض من خلال ما يدونه، وبدأ صبرها ينفد، الحنق قد بدأ يسري في عروق جسدها وهي تفرك يدها في عصبية، وبدأت تتنقل بخطواتٍ هادئةٍ وئيدةٍ وراحت تجول ببصرها في أرجاء المكان وهي تقول: سوف ألقي نظرةً سريعة على هذه الورقة، وانطلقت تعدو نحو الورقة بخطواتٍ مترقبه ثابتة، سرعان ما التقطتها عائدة إلى سارة التي انتابها الفزع والتوتر قائلةً بصوت خفيض مرتجف الأنفاس: كفِ عن ذلك أيتها المجنونة.

قاطعتها في صرامة فاغرةً فاهها من الدهشة: انظري، ظني في محله، يبدو أن اسم حبيبته "حسناء"، انظري إلى كتاباته ماذا يقول لحبيبته

"حسناء يا حبيبتي، أما زلتِ تسمعين نبضات قلبي، فأنتِ

تعديل من خلال WPS Office

الروح التي تسكن بداخلي ولا تفارقني. حسناء يا روح فؤادي، لم تعد إليّ ابتسامتي، فيا ترى ستعود؟ ومتى؟ لن تعود إلا عندما احتضنك بين ذراعي، وقتذاك أشعر بجسدك لينًا دافئًا، وأذوب عشقًا من فرط حنانك".

بدت عينا سارة حائرتين زائغتين تنظر إليها مرتاعة: كفي عن الكلام أيتها الثرثارة، وأعيدي كل شيءٍ لمكانه.

فتفرست الثرثارة وجهها وهي تدق صدرها قائلة بتعجب: ما هذه الرسومات والخطوط غير المفهومه مفزعة الهئية رعبًا، التفتت نحو صديقتها وكانت نظراتها تطلق حممًا، ولاذت

بالصمت، ومضت هنيهة سكونٍ فاستدركت سلوى قائلة: انظري إلى الجهة الأخرى من الورقة تبدو من كلماتها ذكرياته مع والدته، يا لها من قصة مؤثرة للغاية، انظري ماذا يقول: "ذات يومٍ في طفولتي غضبت من أمي فاحضرت لي الطعام،

تعديل من خلال WPS Office

رفضته وأنا غضبان وضعته أمامي وذهبت ولم تبالي، اشتد غضبي من قسوة قلب أمي، انتظرت ساعة ساعتين والطعام أمامي، مليت وجهي على الأرض أشكو حالي، خيل لي خيالًا خلف الباب، دققت النظر، ها هي أمي، ساعة ساعتين خلف الباب تراقبني، ترفع قدم وتُنزل قدم كي تواصل مراقبتي، دخل السرور فؤادي، أسرعت بالطعام أتناوله كي ترتاح، ذهبت مسرعًا إليها طمعًا في حنان قلبها، قلت (لسه جعان)، قالت في لهفة: (أجيب طعام تاني)، قلت: (عرفتِ أكلت الأولاني؟)، قالت بمكر الحنين: (افتكرتك تقصد نوع تاني). فرميت جسدي في حضنها أشكو سوء ظني. أحبك يا أجمل من رأت عيني".

تنهدت الفتاة تنهيدة حامية وقالت بصوتٍ تشوبه رنة ألم: كلمات مؤثرة للغاية، تدل على شيءٍ ما، هل والدته على قيد

تعديل من خلال WPS Office

الحياة؟ ومن هي حبيبته حسناء؟ لا أظن أن هذا الاسم في مدرستنا، ربما تكون في مكانٍ آخر.

انزعجت سارة ومرت بها لحظة كدرٍ، قالت وقد ساورها القلق: سوف يفتضح أمرنا إن لم تعيدي تلك الورقة مكانها، لقد أوشك مصطفى على الخروج من المرحاض، فلن أسامحك.

فتألق ثغرها بابتسامةٍ وضيئة، وهزت رأسها بالموافقة ثم مضت ووضعت الورقة مكانها وعادت إليها، عندئذ رأت على وجهها التوتر ونظراتها الشاردة وقد شعرت بأنها استطاعت أن تكبت دمعتين همتا بأن تفلتا من عينيها، فتولتها الدهشة وقالت بودٍ وهي تضع راحلتها على كتف سارة مستفسرة: هل أحببتِه؟ أشاحت بوجهها لتخفي العَبرات التي رُسمت على جبينها، وتواري لغة عينيها التي أوشكت على فضحها، تخفي ما بدت لهما بين كفيها.

تعديل من خلال WPS Office

في ذلك الحين قرع جرس المدرسة، توجه الطلاب إلى أماكنهم،

هنا ألقت نظرة أخيرة على الفتى وهي تخط بقدميها تشق سبيلها في فناء المدرسة، فلما لمح نظراتها خطفت، بصره وحدجها بنظرةٍ سريعةٍ خافتة، نظرة تساؤل صامته.

عادت الفتاة إلى الدار، ذلك المنزل الأنيق المتسع بالأثاث الفاخر في ساحة الردهة، المساحة المفتوحة مع النوافذ الكبيرة تزينها اكسسوارات صغيرة تتوه معالمها وسط حائطٍ كبيرٍ متسعٍ من خلال تنويعات الأثاث والديكور انسيابًا، وأجواء الفخامة راسية على المدخل، كانت والدتها جالسة كعادتها على المقعد الذهبي أمام التلفاز في حين كان والدها الدكتور شاهين في عيادته الخاصة مع المرضى.

اتجهت سارة نحو أمها وابتهج وجهها بابتسامةٍ عريضةٍ

تعديل من خلال WPS Office

تصافحها، ثم طبعت قبلةً على خدها مبتسمةً، بعدها استدارت مولية صوب الباب حتى غابت عن ناظريها، دخلت غرفتها تبدل ثيابها وألقت حقيبتها المدرسية على المكتب، وجلست على كرسيها تحدث نفسها هامسةً وهي تداعب خصلات شعرها الحريري تبعثره يمينًا ويسارًا، فانساب شعرها على كتفيها: يا ترى من تكون حسناء هذه؟ لقد نظر إليّ نظرةً لم أرها من قبل؟ نظرة حادة زات معنى، كأنما يثير في نفسه شيء ما. ماذا أصابني؟ هل أنا أحبه؟ أم هذه هواجس؟ أم أنها طلاسم، أحلام غزت ذهني لا أساس لها!

نكست رأسها على المكتب بمشاعر مذنبة مطأطأة الرأس تخفي وجهها بين خصلات شعرها، لا تعرف ماذا أصابها، ثم نفخت بحرقةٍ وهي تنهض تاركةً الغرفة؛ لتجلس برفقة والدتها.

تعديل من خلال WPS Office

رويدًا يقتربان بعضهما من بعض، يتبادلا الحديث في شتى المجالات ومناشط الحوار المتبادل دون تملق ورفعت الكلفة بينهما، على حين كان مصطفى في البداية متحفظًا إلى أن شعر بارتياحٍ ما، وقد بدت عليه بوادر العاطفة والحب تجاهها ، بدأ يملي البصر منها عن قرب، وهي قد أصغت السمع مرهفًا أذنيها، جعلته ينتظر قدومها من آنٍ إلى آخر، بدأ الفتى بالخروج من عزلته التي كان يهرب إليها تجنبًا لصدماتٍ أخرى تضاف إلى صدمات الماضي التي تركت أثارًا في حياته.

كان سابقًا ينتابه فزع وتشنجات مدوية تصدر عنه وتنتهي

تعديل من خلال WPS Office

فجأة من حينٍ إلى آخر عندما يتذكر الحادث، إضافة لأصابته بمرض الهيموفوبيا الذي يعاني منه، يصل إلى الإغماء بمجرد رؤيته لدماء الآخرين، فماذا به عندما يرى دماء المقربين إليه في مشهدٍ تنفطر له القلوب، هذا المرض الذي عانى منه الكثير ، فكل ما أصابه كفيلٌ أن يُفقده الثقة في المجتمع إلى أن اخترقت سارة عزلته تمد يديها لتسانده حتى اقتربت بعواطفها تجاه الشاب، أرغمته على أن يغوص في بحر الغرام أسيرًا، انهمر بعاطفةٍ جياشة دون أن يشعر ليبادلها الحب و الخوف معًا، ربما كان في أمس الاحتياج لتلك العاطفة، أما الفتاة بمشاعرها الدافئة وأخلاقياتها النيرة شعرت بداخلها بشيءٍ ما يسيطر عليها يجعلها تقترب منه بلا إرادة، لأنها رأت فيه الثقة لشخصٍ أمين لا تقوده الشهوات وراء كل أنثى، فمنذ التحاقه بالمدرسة لم تره يلهث وراء نزواته، لم ترِ عينيه تحدقان في جسد أنثى قط، كأنه فاقدٌ للبصر أمام مغريات

تعديل من خلال WPS Office

الدنيا بمختلف ألوانها وصنوفها، هذا كل ما تريده الفتاة في أحلامها كما يبدو من سلوكها وشخصيتها منذ زمن سحيق، رافضة كل من يقترب عالمها، ذلك ما جعلها متفوقة قوية الشخصية، زادها جمالًا وتميزًا عن زملائها، أجبرت الفتى على أن يفتح نافذة قلبه المغلقة لتجلس الفاتنة متربعة بلا منازع.

ظل مصطفى وسارة يقتربا كلا منهما للآخر إلى أن أصبحا لا يفترقا، حيث صار كلٌ منهما ينتظر الآخر لرؤيته، يتجاذبان ويتبادلان الحديث، عاد الفتى إلى منزله بعد نهاية اليوم الدراسي كأنه يحتضن أجواء البيت، ثم أسرع بخطىً واثبةٍ داخل غرفته المتواضعة، وألقى حقيبته المدرسية على المنضدة، وجلس على حافة السرير يفكر في سارة التي أحبها بغتةً دون سابق إنذار، رغم الأحزان التي مازالت تطارده،

تعديل من خلال WPS Office

مستسلمًا رهينة لأحزانه طالما قاتل أخته الصغيرة ينعم بالحياة، ومن الكوابيس المزعجة التي تطارده.

- مازلت ابحث عن قاتل حسناء لتحقيق العدالة، هذه غايتي، لابد من تحقيقها، لن أدع أي شيءٍ يعوق طريقي. أعلم أن حياتي ليست ملكٌ لي، وأن طريقي محفوفٌ بالمخاطر والصعوبات، الطريق الذي لم تصنعه يدي، وإنما فُرِضَ عليّ، ربما سارة لا تعلم ذلك، ولكن ترى هل ستمد لي يد المساعدة، أم تنفر مني؟

تنفس من الهواء بعمقٍ وهو يبتلع ريقه الجاف: لقد أحببتها دون أن أشعر.

نهض من جلسته يبدل ثيابه وتأهب للخروج متجهًا إلى دكان أبيه يساعده في بعض الأعمال التي يصعب عليه فعلها. عندما بلغ دكان والده، وقف عند المدخل يمد بصره إلى ذاك الجسد

تعديل من خلال WPS Office

النحيل الذي أهلكه الزمن والحزن على زوجته صفية وابنته حسناء، يتفحصه بعنايةٍ فائقة التركيز، تأسى لحاله لِمَ بدا على ملامح وجهة التي رسمت على جبهته خطوطًا، عادة ما تبدأ التجاعيد والخطوط الرفيعة في الظهور على الجبين من فرط تكابد الحياة، من تراكم الهموم والأحزان التي يحملها على عاتقه، فانحنى ظهره وشلت يده رغم كل ما تحتويه كلمة أحزان من معنى إلا أنه ظل متماسكا قويًا أمام ابنه، أو لعله يتظاهر بالقوة من أجل الحفاظ على الفتى المتبقي من عائلته. أطال مصطفى النظر لوالده وظل يهمس بينه وبين نفسه: هل أعترف له بحبي لسارة؟ أم هذا يعرضني للإحراج أو ربما تذوب بها أحزانه بعض الشيء.

انتبه صابر لنظرات ابنه الذي أسرع وغض بصره عن والده، عندها شعر أبيه بشيءٍ ما بداخله، الأمر الذي جعل الرجل

تعديل من خلال WPS Office

يقترب منه وربت على كتفه بحنان: قص عليّ ما تحدث به نفسك، ألقِ ما عندك؟ أذني صاغية.

ارتبك الفتى ارتباكا قليلًا، فأطرق رأسه والتهبت وجنتاه من الاحمرار خجلًا واستحياءً وهو يقول بصوتٍ خفيضٍ متقطعٍ: سارة زميلتي في المدرسة.

ثم صمت برهة: وأنا ....وهي .....

ظهر عليه التوتر، ولكن أباه قد أدرك مقصده مبتسمًا: كل شيءٍ وله أوان يا بني، وإلى أن يحين الآوان، عليك ألّا يشغلك شيءٌ عن دراستك.

أومأ الابن برأسه مبتسمًا متفهمًا.

تعديل من خلال WPS Office

(عودة إلى المدرسة)

(الساعة تشير إلى السابعة صباحًا)

في فناء المدرسة يقف مصطفى وسارة يتبادلان الحديث في ظل مراقبة الطلاب لهما متسائلين بدهاءٍ عن التغيير المفاجئ لكلا منهما، ذلك التغيير الذي أخرج الشاب من عزلته عن المحيطين هربًا منهم في غموضٍ لا يعرفه أحد، والفتاة التي يهابها الجميع لا أحد يستطيع الاقتراب من عالمها، ظلا هكذا على هيئتهما يتهامسان في ما ترامى إليهما من حديث حول الحفل الذي سوف يقام على مسرح المدرسة بمناسبة نهاية

تعديل من خلال WPS Office

نصف العام الدراسي التي تنظمه سارة وبمشاركتها في العرض المسرحي الذي تقدمه بروايتها "هيموفوبيا" Hemophobia والتي كتبتها خصيصًا لهذه المناسبة، مضت برهة والسكون سائدٌ والصمت مخيمٌ، إلى أن قرع جرس المدرسة، وضح المكان واكتظ الفناء بالطلاب والطالبات، وتلاحمت الأجساد المتراصه وتناثرت، تملؤها حيوية، انطلقا يشقان طريقهما متمهلان في هوادةٍ وهي تلوح بيدها: أراك غدًا في الحفل.

هز رأسه ورسمت على شفتيه ابتسامة ناعمة تمس أشواقه، محت آثار الحزن، تغسل صدره وهو يقول: سأكون أول الحاضرين.

حتى غابت عن ناظريه، وعاد قلبه للخفقان.

تعديل من خلال WPS Office

(الحفل المسرحي)

(الموعد: الثانية ظهرًا)

توافد الطلاب والطالبات من الساعة الثانية ظهرًا نحو مسرح المدرسة، حيث تقام فعاليات حفل نهاية نصف العام الدراسي الذي يقدم فقرات متنوعة والكثير من التسلية، على إثرها تجمع الأساتذة والطلاب والطالبات لقضاء وقتًا ممتعًا، بينما الجميع مشغولون في الجلوس على مقاعدهم، زاغت عينا

تعديل من خلال WPS Office

مصطفى باحثًا عن فتاته فوق خشبة المسرح، كانت وقتذاك منهمكةً مع فريق العمل خلف المسرح استعدادًا لبدء مسرحية "هيموفوبيا"، فنقلت حالة من الحب والتفاني بين أبطال العرض ومدى استعدادهم للصعود على خشبة المسرح.

لحظات ران فيها الصمت، ثم توارت الأسماء الرنانة وفتح الستار ليسطع بنجومية الطلاب المشاركين في مسرحياتهم الهاتفة، فتعالى التصفيق بحرارة وحماسة، وساد الصمت مرةً أخرى في القاعة،

في هذه اللحظة رأى الفتى سارة فوق خشبة المسرح فهدأت أنفاسه، صار يدني بصره في المكان يتفقده، ليرمقها بنظرةٍ خاويةٍ، وتُرسم على شفتيه ابتسامةً خافتةً، بدأ فريق العمل في العرض المسرحي. مشهد يلي الآخر، إلى أن ظهرت فتاته مستلقيةً على الأرض ويقوم أحد أفراد فريق العمل بوضع

تعديل من خلال WPS Office

سكين فوق عنقها، وثيابها ملطخ بالدماء الكاذبة في مشهد درامي..

ما أن رأى مصطفى هذا المشهد حتى انتابته نوبة الهلع ونوبة الذعر فاغرًا فاهه من رؤيته للدم، وإذا بأحلامٍ تنهال على خياله، وتزاحمت في رأسه، ومر على ذاكرته مشهد الحادث البشع أمام عيناه، وثب واقفًا بلا إرادةٍ من على المقعد وشعر بارتجافٍ في جسده، تعرّق جبينه، ثم ندت عنه صرخة مدوية ، التفت إليه الحاضرين، ظل يصرخ وتعالت صرخاته وهو يدور حول نفسه في حركاتٍ محوريه، يخفى وجهه ما بين كفيه في رعبٍ حتي تناثرت قطرات العرق على جبينه، واستمر يبكي بنشيجٍ مسموعٍ وهو يردد بصوتٍ منقطع مرتجف: حسناء .... حسناء ..... حسناء.

أقبل عماد صديقه إليه يحتضنه ويحاول تهدئته إلى أن

تعديل من خلال WPS Office

أصيب بالغثيان وسقط على الأرض فاقدًا الوعي دون حراك، وسط زحام أقدام الطلاب حمل جسده الهزيل فنزا منه العرق، سرت بين الحشد موجة همهمة ودمدمة، هنا قد بدأ يسري في ملامح سارة الفزع والخوف وأصفر وجهها دهشةً، وانطلقت تعدو إليه متسائلةً: ماذا حدث؟ وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

في ذلك الوقت وصلت سيارة الإسعاف التي استدعاها أحد الأساتذة لتحمل الفتى بداخلها فاقدًا القدرة على الإحساس بما حوله، ثم انطلقت السيارة به متجهةً إلى المستشفى.

تجلت في الأعين نظرات اهتمام، يوجهون نظرات فيها الكثير من التساؤلات إلى عماد صديقه منذ طفولته، ران عليهم صمت ثقيل، ثم تنهد وقال بصوتٍ تشوبه رنة ألم مطأطأ الرأس، وشرع في القص عليهم من بداية إصابة مصطفى

تعديل من خلال WPS Office

بمرض"الهيموفوبيا " مرورًا بالحادث البشع المؤلم بقتل حسناء أخته وذبحها أمام عينيه، ووفاة والدته في ذاك اليوم حزنًا على ابنتها، إلى أن أنهى الشاب سرد قصته، ساد الصمت على الجميع سوي نحيب وأنين البكاء، وقد بدا على وجوههم الحزن والشفقة، وزادت بين الجمع موجة همهمة ودمدمة، وقد بدت سارة عيناها حائرتين زائغتين والدموع تحفر خدها وفي وجهها علامات ألم في ضيق وتبرم، وكان التعب أخذ منها ما أخذه، شاخصة البصر وشفتاها ترجفان، شعرت بدوارٍ ثقيلٍ وخمول، فانهارت عزيمتها وقواها على الأرض تستلقي دون حراك. أسرعت سلوى بمساعدة زميلتها وإسعافها حتى فتحت عيناها، استجمعت قواها وانتصبت واقفة مكانها وأخذت تركض متجهةً صوب منزلها دون وعي تشق الريح، حاولت سلوى إيقافها دون جدوى.

تعديل من خلال WPS Office

ركضت الفتاة دون توقف تعدو الشوارع والطرقات إلى أن وصلت البيت ودلفت بداخله مسرعة إلى غرفتها، ارتمت على السرير يغمرها البكاء، عند هذا أبصرت والدتها مفزعة الهئية منها رعبًا، انتفضت من جلستها على المقعد أمام التلفاز بأعينٍ زائغة، تقلص وجهها وانقبض قلبها انقباضًا أليمًا وهي تدفع الباب دون طرقٍ أو استئذان متسائلة وقد ساورها القلق: ماذا حدث؟

لم تجد إجابة، ومازالت ابنتها في حالة انهيار عصبي، فمضت والدتها نحوها وجلست على حافة السرير وعدلت من وضعيتها تحتضنها بشدة، واستطردت تتساءل بوجهٍ منزعج: ماذا حدث يا سارة؟ ماذا حدث؟ هل ثمة أحداث وقعت؟

فغشى الجلسة صمتٌ وسكون، والفتاة تلتقط أنفاسها بصعوبةٍ وتزداد نبضات القلب اضطرابًا ولاذت بالصمت. نهضت الأم

تعديل من خلال WPS Office

وقد بلغ بها القلق نهايته، فألقت عليها نظرةً، واستحوذت عليها الأفكار وتزاحمت في رأسها، وبدأت تنتقل بخطواتٍ سريعةٍ خارج الحجرة، خائفةً والرعب الرهيب على ملامح وجهها، تبحث عن هاتفها أمام التلفاز، فعثرت عليه فوق المنضدة، وأسرعت بالاتصال بزوجها الدكتور شاهين، والذي هرول تاركا المرضى على الفور في عيادته حاملًا حقيبته الطبية، استقل الرجل سيارته وأدار المحرك وانطلقت به وأخذت سرعتها على الطريق إلى المنزل، ما أن وصل حتى خطت قدماه نحو باب الغرفة مسرعًا، أول ما فعله أنه فحصها فحصًا سريعًا، ثم قام بحقن ذراعها بمادةٍ مهدئة، بدأت الفتاة تهدأ ولكنها مازالت مستمرة في البكاء إلى أن هدأت من روعها، سحب الدكتور شاهين مقعدًا وجلس بجانبها بعينين محدقتين ينظر في دهشةٍ متسائلًا: ماذا حدث ؟

تعديل من خلال WPS Office

ولاحظ عيني الأم في ترددٍ والحيرة تكسو معالم وجهها، واقفة متوترة للغاية مصدومة، عدلت سارة من وضعها تعدل هندامها وقد توالت ضربات قلبها في سرعةٍ وحرارة، قائلةً بصوتٍ يملؤه الحزن: كنت سببًا في إعادة أوجاع صديقٍ لي في المدرسة بسبب روايتي "هيموفوبيا".

ثم أفرغت كل ما في جعبتها من سرد لما حدث، حتى عادت للبكاء مجددًا، تخفي وجهها بين كفيها، أخذت والدتها تجفف عرقها المتصبب وتحتضنها، تشع فيها الدفء، أردف شاهين وهو يربت على كتفها: سوف نذهب للاطمئنان عليه.

رفعت الفتاة رأسها واستقر بصرها على وجه والدها، ثم غضت بصرها متحاشيةً النظر في وجهه، فاستطرد الرجل بهدوء بنبرةٍ بطيئة رقيقة: كوني مطمئنة يا عزيزتي، علقي آمالكِ بالله، فهو لا يخذل قلبًا شاكرًا.

تعديل من خلال WPS Office

ارتسمت على شفتيها ابتسامةٌ، وعلى وجهها ملامح الرضا المطمئنة وعيناها تشعان ببريق الغبطة.

شعرت والدتها بشيءٍ ما بداخل ابنتها متسائلة بينها وبين نفسها (ربما ليست مجرد صداقة عابرة أو عادية، فالأمر أكثر من ذلك).

بعد تحسن حالة الفتى، خرج من المستشفى ليرقد في فراش المنزل لاستكمال عافيته، ظل والده بجانبه على السرير كعادته محافظًا على إبعاده عن رؤية الدم، جاءته طرقات خفيفة على الباب توحي بأدب الطارق، وثب الرجل واقفًا وأسرع وهو يخطو بقدميه أرض الردهة صوب الباب لفتحه، فإذا بالدكتور شاهين ومعه زوجته وابنته، ألقى التحية على والد الفتى الذي بادره التحية بصوتٍ مسموعٍ، دلت على كرم

تعديل من خلال WPS Office

الرجل، تلوح في ثغره ابتسامة عارمة وترحيب حار، وصل صوت الزائرين إلى مسامع مصطفى، وانتابه التوتر نوعًا ما، جاءه صوتًا يعرفه جيدًا، غاية في الرقة، دافئًا مفعمًا بروائح الياسمين المملوءة بالحيوية والنشاط، ولكن داهمه اضطرابٌ مفاجئ للإدراك فور رؤية سارة ووالديها لأول مرةٍ في منزله البسيط محاولًا النهوض من فوق السرير وكان التعب أخذ منه ما أخذه ليرحب بهم، ولكن أشار إليه الدكتور شاهين بيده ألا تجهد نفسك يا بني. وقد بدت على وجوههم الطيبة والإشفاق ولهما حظٌ موفور من الاحترام، غير أن امرأة الدكتور أخذت تقلب البصر في وجوههما، وعيناها زائغة يمينًا ويسارًا، تتفحص وتتمحص ذاك المنزل الفقير ذو الأثاث المستعمل القديم الذي لا يصلح إلا حنوت الفئران والحشرات الضارة كما بدا لها! أما ابنتها كانت عكس والدتها في قدرتها على فصل

تعديل من خلال WPS Office

الأمور عن بعضها، لا تشغلها الفروقات الاجتماعية

والاقتصادية الفردية طالما أن الإنسان شريفًا كريمًا، يخوض غمار الحياة معتمدًا على عزيمته وعلى خصاله، يثب من حياته الفقيرة التي فرضت عليه إلى النجاح، والحق أن الفتى يستحق كل الثناء، لأنه كان طيب اللسان، تتنزه أقواله وأفعاله من الشبهات التي كست الدنيا بالدنس والغش و الخداع وأكل أموال الناس بالباطل.

تحسنت حالة مصطفى في فترة إجازة نصف العام، ليستأنف نشاطه الدراسي عائدًا إلى الحياة في ظل مساندة حبيبته له والتي أصبحت شعاع أملٍ أضاء له طريقه المظلم، بل هي الحياة نفسها. فقد أوشك الفتى على استكمال دراسته في نهاية العام الدراسي واقتربت الامتحانات التي تحدد مصيره

تعديل من خلال WPS Office

في الالتحاق بالجامعة، كما تحدد بداية حياة جديدة مع سارة ، لأنه وعدها بالتقدم لخطبتها في بداية العام الجامعي فأصبحا لا يفترقا، حتى في أيام الامتحانات فكانا ينتظران أحدهما الآخر إلى أن انتهت الامتحانات.

وفي يومٍ كان الشاب مستغرقًا في نومٍ عميقٍ بغرفته، عبث النوم بأجفانهِ، استيقظ على رنين هاتفه، استدار مضطجعًا على فراشه بعينين حمراوين نحو الهاتف الموجود بجانبه، فمد بصره إلى شاشة الهاتف الإلكترونية التي تظهر اسم المتصل ليرى اسم "حبيبتي سارة"، أسرع بالضغط على زر فتح المكالمة ليسمعها تقول: أنت لسه نايم يا مصطفي؟

- خير يا سارة؟

= النتيجة ظهرت يا مصطفى.

- بجد والله.

تعديل من خلال WPS Office

= آه بجد، سيبك من الكسل ده، وقوم تعالى المدرسة حالًا.

- حاضر، مش هتأخر، مسافة السكة.

= اوكي، نتقابل في المدرسة سلام.

نهض الفتى من فراشه يرتدي ثيابه بعجلةٍ، وثب خارج الغرفة في سرعةٍ غير معتادة، صادفه والده خارجًا من المرحاض، فوجئ به متجهًا نحو الباب ويبدو عليه التوتر، لوح الرجل بيده: إلى أين يا بني؟

استدار إليه وأطلق تنهيدةً: إلى المدرسة، النتيجة ظهرت، إن شاء الله خير يا ولدي.

أومأ مصطفى برأسهِ وخرج من المنزل مسرعًا كالفيضان العارم إلى أن وصل المدرسة، هدأت أنفاسه، صار يتفقد المكان، ومضى يبحث عن سارة في قلقٍ وتوتر، وأخيرًا أبصرها بين رهطٍ من الطلبة، أقبل عليها ووقف أمامها يلوح

تعديل من خلال WPS Office

في وجهه الجد والاهتمام، ولكنه قرأ في عينيها اللتان ظهر فيهما الحزن، عصفت به الهواجس واستحالت ملامحه فجأة إلى الخوف، يعصف به عصفًا وهو يقول: إيه اللي حصل يا سارة، نتيجتك مش كويسة؟

= لا يا مصطفى الحمد لله، نجحت بتفوق والأولى على المدرسة.

- طب ألف مبارك يبقى نتيجتي أنا مش كويسة.

= لا، أنت نجحت بتفوق.

فقال وهو يزدرد مرارة ريقه: طيب مالك حزينة ليه سيبتي أعصابي؟

فغمغمت في ضيقٍ حتى تقلصت ملامحها قائلةً: لأن درجاتي تؤهلني لفرصة الالتحاق بكلية الطب، وهذه رغبة والدي، بينما أنت مجموع درجاتك تؤهلك للالتحاق بكلية الهندسة،

تعديل من خلال WPS Office

حيث كنت أود أن نلتحق سويًا بكلية واحدة، ران عليهما صمتٌ ثقيلٍ للحظات، ثم ندت عنها تنهيده عميقة، ولم تستطع أن تملك نفسها من مشاعرها الفياضة، لم تتمالك طاقتها، وبتلقائية أفرغتها في بكاءٍ بنشيج.

هنا لاحت ابتسامة صفاءٍ عذبٍ على شفتي الفتى حتى أصابته سهام الحب وشغاف قلبه.

- أنا لا أريد الالتحاق بكلية الطب، وأنت تعلمين أن ذلك بسبب إصابتي بمرض الهيموفوبيا.

رفعت الفتاة رأسها في بطءٍ وراحت تنظر إليه بإمعان، فتابعت في إصرارٍ: سوف أضع أولي رغباتي كلية الهندسة.

قطب ما بين حاجبيه غاضبًا على ما قالته للتو، وتسمر وجهه في وجهها وهو يقول بصوتٍ يملؤه الغضب: لن تريننى إذا فعلتِ ذلك.

تعديل من خلال WPS Office

غضت بصرها ثم همت بالرد، ولكنها تراجعت لِمَا رأته من تعبيرات وجهه الثائرة، فاستطرد الشاب بهدوءٍ بنبرةٍ بطيئة رقيقة: سوف أتقدم لخطبتك، ولن تفرقنا الجامعة!

طافت بعينيها في الفضاء دون أن تنبس ببنت شفةٍ وهي تتحسس وتهذب خصلات شعرها الطويل المتمرد على جبينها ، استقام صوته وهو ينظر إليها بإمعان ويقول: علينا الآن أن نبشر والدينا بالنتيجة لعلها تكون سببًا لإدخال البسمة على شفتين والدي بعد عناء وقسوة الأيام.

لبثت الفتاة مطرقة وأجابت في حزم: كنت أود الذهاب معك، ولكن لن أجد من وقتي فسحة.

ثم انطلق كلا منهما في طريقه نحو منزله، وقد غمر كلاهما بشرى كست وجهها، ولما شق الفتى طريقه وبلغ مقصده، وجد أبيه جالسًا منتظرًا قدومه في لهفة المشتاق كلهفة

تعديل من خلال WPS Office

الحرمان، كأنه يبحث عن خبرٍ يفرحه طال انتظاره بشغف الحبيب لحبيبه في توترٍ، قابله الفتى وقد تهلل وجهه بُشرًا، وفاضت من نفسه السعادة، وعلى ثغره الابتسامه الواسعة التي تضئ وجهه قائلًا: كلية الهندسة يا والدي كما تمنيت.

احتضنه بقوةٍ وفاض عطفه نحو ابنه وهو يقول: هذا أول الطريق يا بني.

أجهش بالبكاء وسالت الدموع كالمطر كأنه طفلٌ رضيع، يحرك شفتيه بصعوبةٍ وأضاف كلماتً تشوبها المرارة: والدتك و أختك حسناء أرواحهما الآن يا ولدي تطوفان فرحًا.

قال الشاب بعينين تتغلغل بهما الدموع: ليس الآن يا والدي، سعادتهما وراحتهما عندما أعثر على المجرمين، ثم طبع قبلةً على يد والده المشلولة، ومسح بأناملٍ مرتعشةٍ دموعه التي تكسو وجهه والتي ذرفتها عيناه بغزارةٍ وحجبت الرؤية عنه.

تعديل من خلال WPS Office

- اسمعني يا أبي، لي طلبٌ أريدك أن توافق عليه.

نظر إليه ينصت باهتمام فيما يقول، أردف الفتى بفضولٍ مستغلًا الانسجام الذي لاح في أفق طيف العواطف والأحاسيس قائلًا:

أريد خطبة سارة زميلتي.

تريث الرجل قليلًا ليلقي نظرةً على وجهه: يا بني ما زلت ط البًا؟

- أجل يا والدي، ولكنها ليست أكثر من خطبة الآن، كي تتم معرفتنا بعضنا جيدًا.

قال هذا ثم استسلم ولاذ بالصمت منصتًا في جذعٍ وترقب:

ما كان على الرجل إلا أن يتروى ويراجع ما طرُح عليه للتو من ابنه قبل البدء في النتائج، إلّا أن تركيزه كان في ألا يزيد

تعديل من خلال WPS Office

جرحه عمقًا واتساعًا، لقد عانى الكثير منذ طفولته، وربما تكون سارة تعويضه عما رآه من قسوة الحياة، ثم شعر برغبةٍ تدفعه في أن يذعن لرغبة ابنه الدفينة، أقبل عليه بكلِّ جوارحه وهو يطيل النظر إليه: لا مانع يا بني - ويبسط راحتيه- وأسأل الله أن يبارك لك.

عندئذٍ أفلتت من الشاب ابتسامةٌ رقيقة ناعمة لأول مرةٍ منذ زمنٍ طويلٍ، ملقيًا عبئًا كان يثقل كاهله، ردع في صدر الابن ارتياح، أما الأب فرسمت على شفتيه ابتسامةً مصحوبةً بقلقٍ عميق يتسلل إليه من جديد يعكس حالة من التوتر وعدم الارتياح.

أما على الجانب الآخر كانت سارة تحدث والدها في ذلك الوقت ووجهها يميل إلى الأرض، أطرقت رأسها والتهبت وجنتاها من الاحمرار خجلًا واستحياءً وهي تقول: مصطفي

تعديل من خلال WPS Office

ووالده يطلبان مقابلتك اليوم.

نظر إليها الدكتور شاهين مستفسرًا: خير يا حبيبتي؟

غضت بصرها ثم همت بالنطق ولكنها تراجعت، قرأ والدها ما يدور في ذهنها، أنقذها من الاضطرابات التي فرضت نفسها على جسدها، وتداري لغة عينيها التي أوشكت على فضحها: لا مانع يا بنيتي الحبوبة.

طرقات خفيفة على باب الشقة توحي بأدب الزائر، أقبلت الخادمة تستقبل الضيفين القادمين، دخل صابر والفتى، فشقا سبيلهما إلى الصالةِ الواسعةِ، ألقى الرجل نظرةً عابرةً على ساحة البهو، وبدت النجفة على الحوامل المذهبة، فخطفت بصره بمصابيحها الصاعدة وضوئها المنتشر، حيث كان الدكتور شاهين وزوجته في انتظارهما، دنا والد الفتاة يصافح الرجل وشدد على يده وأجلسهما على أريكة (الأ

تعديل من خلال WPS Office

أنتريه)، ثم تبادلوا كلمات المجاملة التي تسبق عادة تلك المقابلات، ومضت هنيهة صمت وجمود، هم صابر بالرد بنظرةٍ منه حانت نحو شاهين يلوح في وجهه الجد وهو يقول: ربما لا يكون الوقت مناسبًا ولكن نظرًا لإلحاح واستعجال ابني، يسعدنا أن نطلب القرب منكم ويشرفنا أن نتقدم لطلب يد كريمتكم سارة لابننا مصطفى على سنة الله ورسوله!

التفت الرجل نحو امرأته وكانت نظراته تطلق دهشة، فصاحت الزوجة، كنا نتمنى ولكن الدكتور(حسام حمدي) سبق وتقدم لخطبتها ونحن وافقنا!

ألجمت المفاجأة فاه الشاب ثم زفر ثائرًا وقال بنبرات متهدجة وفي اقتضاب مؤثر: ولكن؟

وقبل أن تبدر من الفتى كلمةً أخرى، ربت أبيه على منكبه

تعديل من خلال WPS Office

وقال وهو يداري حنقه المختنق: كل شيء قسمه ونصيب.

وانتصب واقفًا، وقف الابن فور وقوف والده، ثم غادر شقة حبيبته وقد بلغ به الحزن مداه، وألقى نظرةً أخيرة وهو يخط بقدميه خارجًا فاقد الأمل، وعندما تلامست قدماه حين ارتقى أدراج السلالم الهابطة إلي أسفل مدخل العمارة، تراءى له قدوم دكتور حسام الذي خطف منه فتاته التي أحبها وقد عرفه، ألقى نظرة خاطفة عليه دون أن يراه.

خرجت سارة من غرفتها تزوم وتزمجر بعد مغادرة حبيبها ووالده، وقفت تعتصر يديها بعصبية شديدة وكانت نظراتها تطلق حمما بركانية وهي تقول: لماذا رفضت مصطفي؟ ومتي تقدم لي حسام؟ ثم أنني لا أريد هذا الشخص.

ألقى شاهين نظرة زاخرة بعتبٍ قوي ولومٍ شديد، قال على حين غرةٍ: إنني أشعر بالخزي والعار مما طرق على مسامعي

تعديل من خلال WPS Office

للتو من ابنتي الوحيدة، ولكن حسابنا ليس الآن، ويجب أن تعلمي جيدًا أني لا أريد إلا مصلحتك ومستقبلك الذي كافحت من أجله طيلة حياتي لتكوني الأجمل والارقي، ومن منظور الأب الذي يحسن مداراته نحو ابنته، فأنا أعلم أي الطريق الصحيح الذي يجب أن تخوضيه، ولهذا أري أن الدكتور حسام شاب مجتهد في ظل عامة الأول بعد تخرجه من كلية الطب حقق ثروة طائلة ويمتلك الآن مستشفى استثمارية خاصة، وقد سبق وتقدم لخطبتك منذ يومين وأنا وافقت وانتهي الأمر حيث أعلم مستقبلك جيدًا من خلال خبرتي في الحياة ومصاعبها.

ما كان على الفتاة إلا الخضوع رغم أنفها بزوغًا لرغبة والدها، نفخت في حرقةٍ وسلمت أمرها، حتى تدفقت على ذاكرتها أنها لم تتركه مهما حدث، ثم دخلت في عزلتها بين جدران

تعديل من خلال WPS Office

غرفتها. أما مصطفى فمكث في غرفته في حالةٍ سيئةٍ، مازالت الحياة تلقنه صدمةً تلو الأخرى، ظل ماكثًا على حالته ثلاثة أيامٍ وحيدًا وحزينًا لا يخرج وأغلق هاتفه. كانت وقتذاك سارة تحاول الاتصال به دون جدوى، إلى أن أرسلت له صديقاتها سلوى برسالةٍ ورقية في مظروف لتوصيلها للفتى، الذي أخذ المظروف ودلف لغرفته وقام بفتحه وفض ما بداخله وشرع في قراءة الورقة، يستشعر سطورها ما بين شفتيه وفي نهاية الرسالة تنشد قائلةً:

يا بحر الهوى اسقنِي من صفاء الشوق ارويني

أقسمت عليك ألا تصغي لغيري

القلب عليك غوى وارتوى

ما ضاع الحب في عينيك من ألحانٍ وأشجانٍ

لم أرِ عينيك وإنما طار الهوى سماك

تعديل من خلال WPS Office

صوتك ساحرٌ خطف الفؤاد وطابَ

ما أطيب من صوتٍ عندما يهمس بأذني

بصوتٍ عذبٍ ترقص عليه الطير على الأشجار

أفيق قبل أن يذهب الحلم إلى أعماق السراب

وتطفو الأحزان فوق سطح الأنهار

عندها يبقى الجسد بلا روح

وتروح كل الأعذار

أخذ يذرع الغرفة جيئةً وذهابًا، ثم استشعر في صدره شيئًا ما جعله يثور في مواجهة الحياة لكي لا يتحول الحلم إلى سراب، أخذ على عاتقه التحدي، انطلق لاستكمال دراسته في كلية الهندسة متعهدًا ألا يترك سارة التي أحبها كما عاهدته

تعديل من خلال WPS Office

الفتاة ألا تتركه مهما كان.

ظلا يتقابلانِ سنوات الدراسة الجامعية على أمل أن يثبت الشاب لوالد الفتاة أنه جديرٌ بها، دام مجتهدًا خلال فترة دراسته بكلية الهندسة إلى أن وصل لنهاية تخرجه بتفوق في السنوات الخمس، وجاء اليوم الذي يقام فيه حفل التخرج، انتظر سارة كعادته عند محطة الحافلات أمام الجامعة لتشاركه سعادته بحفل تخرجه، سرعان ما لمح فتاته قادمةً على مهلٍ وهي تسير محتضنه كتبها إلى صدرها كأنه تخفي أنوثتها من الأشباح الجائعة المريضة وهي تواري حمرة وجهها ، وعندما وصلت إليه ابتسمت برقةٍ قبل أن تصافحه ويديها ترتب خصلات شعرها قائلةً: اليوم أصبحت مهندسًا،

ما أسعدني هذا الصباح الرطب الذي يشهد أجمل لحظات عمري.

تعديل من خلال WPS Office

عند هذا وبتلقائيةٍ أفرغ مصطفى ضحكة مجلجلة رنانة مشبعة بصفاءٍ عذب، ضحكة عالية على إثرها التفتت إليه أنظار الناس الواقفة، أرغمها على أن تبادله نوبة الضحك التي انتابته. بعد هدنةٍ قصيرة من هستيريا الضحك قالت الفتاة: لم أرِ تلك الضحكة من قبل؟ التي هزت كياني وجعلتك إنسانًا غير ذي قبل؟

تعالت ضحكة الفتى وهو يقول: لأنني أشعر الآن بين أوتار قلبي أنني أمتلك الكون كأني قذيفة مندفعة نحو تحقيق حلمي والطريق الذي يودي إلى الاحتفاظ بكِ للابد،

والتعويض لي عما سلف من متاعبٍ متلازمة ومتلاحقة، كأنها عاطفة هوجاء تنزع عن جسدي أغطيةً كانت على عاتقي مدمرةً الإحساس ممن حولي، من اليوم يا سارة لحين تخرجكِ سوف أبذل كل جهدي لكي أكون جديرًا أن أتقدم

تعديل من خلال WPS Office

لخطبتك مرة أخرى.

غضت بصرها تصاحبها ابتسامة رقيقة ناعمة: وأنا سوف أنتظرك ولن أتركك مهما كان.

ثم رفعت الفتاة رأسها والتهبت وجنتاها احمرارًا تغمرها السعادة، ولكن جاء القدر على حين غفلةٍ، وهي واقفة أمام حبيبها، لمحت بطرف عينيها سيارة مجهولة تسير بسرعةٍ جنونية وفجأة اختلت عجلة القيادة من يد قائدها، مسرعةً في اتجاههما خلف الفتى، وما هي إلا لحظاتٍ لمعت عيناها وأطلقت صرخة عالية وهي تدفع مصطفى بيديها دفعةً قوية لا إرادية تبعده من أمام السيارة التي انحرفت نحوها، فاصتدمت بها السيارة بطريقةٍ مروعة، سقطت الفتاة على الأرض دون حراكٍ جثةً هامدة غارقة في دمائها، وفرت السيارة هاربة بعد دهسها، وقتذاك نهض مصطفى من على

تعديل من خلال WPS Office

الأرض إثر الدفعة واستدار فتصلب بصره ناحية سارة الملقاة على الأرض والدماء تسيل من كل أنحاء جسدها بغزارة، انتابته نوبة ذعرٍ وصراخٍ، أخذ يدور حول نفسه ويصرخ محاولًا الاقتراب من حبيبته، ولكن تصلبت شرايين قلبه فلم يستطع التحمل، ضعفت قوته، تأرجح جسده، ارتخت أعصابه ، جحظت عيناه وتجمدت أطرافه وتهدج صوته يشعر كأنه مكبلًا بالحبالِ عيناه زائغتان، يمر في مخيلته شريط الماضي، يرى سارة وحسناء في آنٍ واحد، وبدأت تنهار عزيمته وسكنت جوارحه، فقد استنزف طاقته، فانهار قوامه على الأ رض يستلقي دون حراكٍ فاقدًا للوعي.

استيقظ من غفلته بعد مدةٍ طويلة لا يدرك مقدارها، فتح عيناه بثقل جفنيه ويشعر بصداعٍ نصفي في رأسه وبجسدٍ متعب متألم، يشعر بثقلٍ يجثم على كتفيه، يجول ببصره في

تعديل من خلال WPS Office

جوانب الغرفة، فيدرك ما حوله وتعود ذاكرته للواقع بصياحٍ مفاجئ وبكاءٍ بهستيريا، احتضنه والده كعادته بعد كل صدمةٍ يتلقاها، يجده بجانبه قريبًا منه يهدئه ويحتويه، كانت قطرات العرق تقطر على ظهره، باغته الممرض بحقنه بمادةٍ مهدئة دون أن يشعر مراعيًا حجب رؤية الأدوات الطبية التي تصيبه بالذعر فور رؤيتها، حتى هدأ الشاب نسبيًا، نظر إلى وجه أبيه بإمعانٍ وترقرقت دمعةٌ في عينيه وهو يقول بصوتٍ يملؤه الحزن واليأس فمضى يعيد عليه من فرط ندبات جروحٍ عميقةٍ بداخله.

ليه أنا

ليه كل شيء جميل في حياتي بيموت

ليه أنا

بخاف من رؤية الدم رغم حياتي كلها دم في دم

ليه أنا

تعديل من خلال WPS Office

بخاف من رؤية مشرط رغم أني رأيت أغلى ما لي يذبح بسكين

ليه أنا

بهرب من الدراسة في كلية الطب رغم أن كل حياتي في المستشفيات

ليه أنا، ليه أنا؟

ويخفى وجهة بين كفيه وينهمر في البكاء، ندت عن الرجل تنهيدة عميقة كشظايا ملتهبة وهو يقول بعد فترة صمت قصيرة: استغفر ربك يا بني، هذه ابتلاءات تحتاج للصبر، ألم أعلمك الصبر والتحمل منذ نعومة أظافرك، ربما لن أستطع أن أقدم لك شيئًا في هذه الظروف، ولكن اعلم جيدًا قدرتك على تكملة المشوار، كما يجب أن تدرك أن سارة التي أحببتها، وحسناء الروح التي تسكن بداخلك ووالدتك التي كانت نبض حياتك لن يسعدوا في قبورهم إلا عندما تصل لنهاية الطريق طالما المجرمين والجناة خارج القضبان ينعمون بالحياة، فلابد

تعديل من خلال WPS Office

أن تواصل من أجلهن.

- سارة حبيبتي فارقت الحياة تفادي بنفسها من أجلي، كيف أتحمل رحيلها، لا أستطيع تحمل الحياة بدونها.

= ما زال الطريق طويلًا، والصدمات لن تنتهي، وأنا يابني شلت يدي وضعفت قوتي، ما أصعب من رؤية حبيب مسجي بلا حراك ولكن سوف أكمل طريقي يا ولدي.

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

(عودة إلى الحياة)

سامي سلام القراش

CLV

تعديل من خلال WPS Office

خرج مصطفى إلى الحياةِ واقفًا على قدميه يستمد قوته من والده ماسكًا بزمام القوة، عازمًا على تحقيق هدفه في مواصلة البحث على الجناة، أدرك الفتى أن مركز القوة في لغة عالم الإجرام هي الأموال والتي تساعده على النبش في الماضي، هذه الأموال هي كلمة السر التي تفتح الأبواب المغلقة؛ ليصل لما يبحث عنه، انطلق مصطفى بعد تخرجه من كليه الهندسة إلى عالم التجارة، انهمك كليًا بكل حواسه في العمل يبحث على طريق الأموال، سعى في إثبات قدراته العقلية وتنمية مهاراته الفذة، بدأ في دخول مناقصات تجارية صغيرة إلى أن تعلم مفاهيم البورصة والتداول في السوق رغم أنه مازال شابًا، استطاع أن يدس بين رجال الأعمال يكتسب الخبرات، ليبدأ حياة الرخاء التي تزداد يومًا بعد يومًا لتفوقه في مجاله، إلى أن صار في عمره الثاني والعشرين من أهم رجال الأعمال، يبدو أن الدنيا فتحت ذراعيها له تعويضًا

تعديل من خلال WPS Office

عما سبق، التزم هذا النهج، فتغيرت الحياة وكثرت الأموال ولكن لن تتغير أهدافه في البحث عن قاتلٍ أخته، وعن المتهور الذي حرمة من حبيبته سارة.

جلس في منزله المتسع ذو الأثاث الفاخر الذي انتقل إليه مؤخرًا، يحتسي قهوته، صار يدني بصره في وجه أبيه يتفقده وهو يرشف من قهوته في هدوءٍ قائلًا: سوف نذهب سويًا غدًا لزيارة قبر حسناء ووالدتي.

- أجل يا بني، لقد اشتقت إلى زيارتهما.

وقف الفتى أدبًا وخطا بقدميه نحوه وقد رسمت على شفتيه بسمةً لطيفة على ثغره، ثم انحنى يهمس في أذنه بلينٍ ورفق، لقد اشتريت منزلنا القديم في بلدتنا الذي بعته سابقًا، انتفض صابر واقفًا، تريث قليلًا ليلقي نظرةً على وجه ابنه بتمعنٍ كمن يريد أن يستشف صدقه من عدمه، وقبل أن تبدر من الرجل كلمة، استطرد الفتى بهدوء بنبرةٍ بطيئة رقيقة، بعدما سكنت أعصابه عن التوتر من المفاجأة السارة، يعيد على عقله ما

تعديل من خلال WPS Office

مضى من ذكريات الطفولة في البيت الذي نبت فيه. قاطعه في إصرارٍ: أريد أن أراه الآن، لم أتحمل المكوث لغد.

لم يتمالك نفسه حتى عانقه بحرارةٍ عناقًا طويلًا.

لم يستغرق وقتا طويلًا في تبديل ملابسهما تأهبًا للخروج والسفر إلى بلدتهما، استغرقت الرحلة كثيرًا من الوقتِ لم يدركا مدتها، وانطلقت السيارة بهما وأخذت سرعتها على الطريق السريع يقودها الفتى بحذر، كانت على جانبيه حدائق غناء باسقة، الشجر مليئا بنباتاتٍ شتى والزهور البرية، يجودان عليها ببيئةٍ ساحرةٍ كأنها مدينة من مدن الاستشفاء، تضارع بموقعها الذي يكسوها نوعًا من الاستشعار بصفاء النفس التي تبرز روح الانسجام. وصلا منزلهما القديم الذي كان اتخذه صاحبه مخزنًا للحدادة لوجود بقايا أسلاك تسليح حديدية وبعض الأشياء المتهالكة، ولما بلغا بابه، عندها دس الفتى المفتاح في الباب وأدار المقبض الحديدي وفتحه فعانقته نسمة رائحة عطرية من الماضي مميزة يعرفها جيدًا

تعديل من خلال WPS Office

العالقة بالمنزل، كأنها رائحة حسناء وصفية، دخلا بداخله، ثم صار صابر يدني بصره من المكان يتفقده نبتة نبتة كأنه يحتضن أرجاء المنزل بقوة، كأن به رغبة عنيفة أن يدخلها في أعماقه، يلامس جدران البيت ويتفحص زواياه بأنامل مرتعشة، أخذ يمسح دموعه التي سالت على وجينته وهو يقول: إني أشم رائحة صفية زوجتي وحسناء ابنتي. مما جعل مصطفي يبكي بحرارة، اقترب الرجل من ابنه يسند عليه فشعر بألمٍ يضغط على صدره، أسرع الفتى يحتضنه برفقٍ وقد استحوذ عليه القلق.

- بماذا تشعر يا والدي؟ دعنا نذهب إلى المستشفى.

ربت على كتفه قائلًا بصوتٍ خفيض وأنفاسه تزداد سرعتها:

لن أخرج من هنا يا بني، أشعر بقربي من زوجتي العزيزة وابنتي الصغيرة، لم يكمل جملته، وقد بدا جاحظ العينين شاحب الوجه مرتجف الملامح غريب المنظر، صار أصفر اللون في كآبةٍ مزمنة، عادت غلالة من الدموع لتتجمع في حدقتا

تعديل من خلال WPS Office

عينيه البارزتين: لا تنسى صفية وحسناء يا ولدي.

ثم سكنت شفتيه عن الحركة وأحالت عبارات الصمت على وجهه كأنه صنم بلا روح، وما تمر دقيقة إلا وأن شهقة شهقته وثقل جسده وفي وهلةٍ لفظ أنفاسه الأخيرة وفارقت الروح البدن.

احتضنه مصطفى وعيناه محدقتان في جدران المنزل القديم الذي يملؤه السكون سوى من تنهيدات أنفاسه المتصاعدة، لم يستطع كبت أنفاسه. ظل يتفحص أبيه بين يديه مستلقٍ على الأرض وجذع جسده العلوي بين يديه، تائه العقل زائغ النظرات فاختلطت عليه رؤى الاحلام وهمسات الإحساس: لقد تركتني وحيدًا يا ابتاه كما فارقني الجميع، فارقت روحك الحياة في هذا المنزل لترقد روحك بسلام بجانب والدتي و حسناء، فارقتني القوة التي أستمد منها قوتي، تركتني وعلى عاتقي حملًا لا أستطيع الصمود لحمله، فكنت من تساندني في حمله، عندما أسقط ليس لي سواك ليحملني، عندما أفقد

تعديل من خلال WPS Office

الوعي لا أرى سواك بجانبي، وأخيرًا تركتني وذهبت إلى مثواك الأخير، عشت ومت حزينًا، لم تذق طعم الراحة صابرًا يا صابر.

شعر مصطفى باليأس والإحباط بعد وفاة أبيه، وجد نفسه وحيدًا في الدنيا، لم يجد فيها أنيسًا لوحشته وأليفًا لوحدته عهدًا طويلًا عاشه، لكن كان يستشعر وجوده في كل لحظةٍ يتذكر حرص والده على أن يواجه الأزمات والصدمات ربما

لأنه اعتاد على تلك الصدمات أو ربما والده زرع في وجدانه الصبر منذ صغره، أو ربما البيئة التي نشأ فيها سببًا مما جعله يصبر على قسوة الحياة، أو ربما بسبب إصابته ب
"الهيموفوبيا" التي جعلته يهرب من رؤية الدم وينتابه الهلع رغم ذلك أجبرته على رؤية أغلى الدماء إليه في أبشع صورها وقسوتها قد تكون سببًا في أن يواجه الأزمات والصدمات صدمة تلو الأخرى، إنها الهيموفوبيا يهرب منها وإليها، يعاني ألمًا شديدًا وعذابًا رهيبًا، من أجل ذلك تزداد عزيمته وإصراره

تعديل من خلال WPS Office

في مواجهتها ومن أجل تحقيق هدفه ورغبته الانتقامية في القضاء على الفاسدين الذين أفسدوا حياته وحرمانه من أحب الناس إليه، التي جعلته وحيدًا متعهدًا مع نفسه مواصلة اللحاق بالمجرمين وتسليمهم للعدالة لتحقيقها حتى تهدأ تلك النيران المشتعلة في أحشائه!

تعديل من خلال WPS Office

عندما كان جالسًا في مكتبه يحتسي قهوته، يدير بعض أعماله بشركته، التقط سماعة هاتف المكتب المتصل بالسكرتيرة: أحضري ملف تبرعات الجمعيات الخيرية على الفور، لحظات

تعديل من خلال WPS Office

قليلة طرقت السكرتيرة باب مكتبه ودلفت بداخله تحمل في يديها دوسيه بلاستيك بكبسولة نبيتي اللون بداخله الملف لتعطيه إياه.

التقط مصطفى الملف وهو يقول: أخبري يوسف مدير أعمالي بأن يأتي لي في مكتبي حالًا.

أومأت السكرتيرة برأسها بالإيجاب ثم غادرت مكتبه لتنفيذ تعليماته، مضت دقائق معدودة وجاءته طرقات خفيفة على باب المكتب، فتح الباب وألقى السلام عليه، رد السلام وأشار إليه بالاقتراب وأمره بالجلوس على المقعد ومضى الوقت

والرجل ملتزم الصمت حتى يدعوه إلى الكلام، بدأ يسترسل في الحديث بسؤاله: هل توجد أخبار عن فتح قضية حسناء؟

أخرج المدير من صدره زفيرًا طويلًا وبصوتٍ تملؤه نبرات آسفٍ وحيرة: بذلت أقصى جهدي وأنفقت أموالًا ليست بقليلة من أجل ذلك.

أراح ظهره للوراء مكملًا: يبدو أن الأمر أكبر مما توقعت.

الحنق قد بدأ يسري في ملامح مصطفى، أطال النظر إليه

وقطب ما بين حاجبيه ويطبق شفتيه بعنف: ماذا تعني؟

تعديل من خلال WPS Office

= أشعر بأيادٍ خفيه وقوية تمنع فتح تلك القضية.

ضرب الفتى بقبضة يده على المكتب بغضبٍ وصوته ارتفع بحدة: لن أتركهم مهما كلفني الأمر، وسأعثر عليهم مهما كانت صفاتهم ومواقعهم.

نكس يوسف رأسه وأخذ نفسًا عميقًا: لابد من توفير دليلًا قويًا لكي تتم من خلاله إعادة فتح القضية.

انتفض مصطفي واقفًا يلوح بيده في غضب: ما فائدة الأموال إذًا؟

وقف الرجل فور وقوفه ومضى يعيد عليه: كما ذكرت، توجد أيادٍ خفية تحرص على ألّا تُفتح هذه القضية ربما هذه الأيادي تمتلك السلطة والمال في آنٍ واحد، وحسب استنتاجاتي يبدو أنها خلية كبيرة، والأمر كما ذكرت يحتاج لدليلٍ قوي للأخذ به ، مع التضحية ببعض الأموال.

غاص الفتى في كرسيه يلتقط أنفاسه المتلهبة، بينما عيناه شاردةً، يهمس بصوتٍ خفيض بينه وبين نفسه خاليًا (لا توجد أدلة قوية سوى ذاك الرجل صاحب الواشمة التي على شكل دمعة العين أسفل عينه اليسرى، أما الأخرى مفقوعه إثر ضربتي، ولكن كيف العثور على هذا الرجل، أخفى وجهه بين

تعديل من خلال WPS Office

كفيه برهةً ووجه نظره إلى يوسف الذي ظل صامتًا، ثم التقط ملفًا من أمامه ومد يده ليعطيه إياه: هذا الملف يحتوي على جميع أسماء الجمعيات الخيرية القائمة على الأعمال الخيرية، وأمام كل جهة قيمة التبرع لها، وأريد أن تتوجه إلى مدير الحسابات لتأخذ هذه الأموال من الخزنة، ثم تقوم بنفسك بتوصيلها لمقر كل جمعية، كما تجد بداخل الملف إذن الصرف بتوقيعي عليه، والأهم من ذلك، لا أريد أي شخصٍ أن يعلم عن هذا الملف على الإطلاق.

هز يوسف برأسه متفهمًا، ثم غادر المكان وأرض الحجرة ترتج وقع قدميه، حتى بلغ الباب ودلف منه وغاب عن ناظريه، في حين ظل مصطفى جالسًا شارد الذهن يضرب زناد أفكاره، ثم اتجه ناحية النافذة ورفع عينيه، استرق النظر لأعلى فوجد السماء التي تملأها السحب التي تحجب أشعة الشمس مما أدى إلى زيادة برودة الجو، نتج عن ذلك حالة من الصقيع وموجة طقسٍ سيئة، ظل يتأملها قرابة الدقيقة عبر النافذة، ثم رأى أشخاصًا تهرول بجانب الطريق لتختبئ في جدران المنازل والمحلات من قسوة برودة الجو، مما جعله يرجع

بالذاكرة للوراء، ليتذكر عندما كان يختبئ في جسد والده ليشعر بدفءٍ، كما مر عليه شريط حياته منذ طفولته، ألا أن

تعديل من خلال WPS Office

خياله يجنح في محاولته الفرار إلى تلك الناحية، أودعها ركنًا مجهولًا من ماضيه لذلك لقيت منه إحسانًا غافلًا، تذكر تلك الليلة التي اندلعت فيها النيران في غرفة الضيوف في منزله القديم عندما كان عائدًا برفقة أبيه من صلاة الفجر، عند هذا الحد ارتجف جسده وشعر بإحساس البرودة رغم دفء مكتبه الذي تغمره الحرارة الخارجة من جهاز التكيف.

- لقد مر على تلك الليلة خمسة عشر عامًا، وها أنا في السادسة والعشرين من عمري مازلت وحيدًا بعد فراق والدتي وحسناء، ثم تبعًا سارة حبيبتي، وأخيرًا والدي.

أخرج منديلًا يجفف به دمعةً سقطت على خده، واستدار نحو مكتبه يلملم بعض الأوراق وطي أوراق أخرى ثم قام بدسها في حقيبته، وقد أبصر ساعة الحائط المعلقة على إحدى جدران المكتب تشير إلى الرابعة عصرًا، خرج من مكتبه كعادته بعد إنهاء العمل بشركته من قبيل مطلع الشمس إلى قبيل مغيبها، استقل سيارته الجديدة الفاخرة، وأدار المحرك وانطلقت به متجهًا لمنزله، وفي أثناء الطريق تعطلت سيارته بالقرب من محطة مترو، حاول تشغيلها دون فائدة رغم أنه لم يمض يومان على شرائها، فاستغرب وزاد استغرابه عندما فوجئ بأن ليس هذا الطريق الذي يعتاد السير من خلاله، أدار

تعديل من خلال WPS Office

بصره في أرجاء الطريق يتفحصه، وقطرات المطر تزدان السماء بخيوطها اللامعة التي تنساب بالونها الصافية كالنجوم على صفحات الطريق، لحظات ليست بقليلة ينظر نظراته الشاردة، يهمس بصوتٍ خفيضٍ: لعل اللّٰه يحمل لي ما هو أكثر خيرًا!

مد يده في جيبه وأخرج هاتفه وقام بالاتصال بموظف في شركته قائلًا: سيارتي تعطلت بجانب الطريق، والطقس يزداد سوءًا، ولن أحتمل الانتظار تحت سترة الأمطار الغزيرة وبرودة الجو والصقيع. أعطاه العنوان ليأتي بالونش حامل السيارات لرفعها والمضي بها نحو مركز التوكيل المخصص لها ، أغلق مصطفى هاتفه وأخذ يبحث في الأرجاء عن (تاكسي) كي يتلاشى برودة الجو، فقد أصبح وجهه أكثر حمرةً من الصقيع، وتناهى إلى سمعه خفيف الأشجار، ما كاد يسير خطوتين حتى تراءى له منعطفًا لليمين، فجال بنظره في المحيط، فرُسمت على شفتيه ابتسامة ناعمة تمس أعماقه، محت آثار الحزن عن ملامحه منذ لحظات، يستعيد من خلالها ذكرياته بالحماسة التي تربطه عندما رأى محطة المترو

بالقرب منه، فيحدث نفسه (كانت لي ذكريات مع سارة في المترو، كأنني أشم رائحتها، ما زالت عالقة في سقف تجويف

تعديل من خلال WPS Office

أنفي عندما أقترب من محطة مترو)، استقل العربة وعيناه تحدقان في المقاعد وزوايا العربة، يتذكر حبيبته عندما كانت برفقته عائدين من الجامعة، في وهلةٍ انتبه إلى طفلةٍ تبيع المناديل ذات الخمسةِ أعوام ذو العينين العسليتين جميلتين يلوح فيهما الحنان والبراءة، وأنفٌ صغيرٌ دقيق.

ملامحها القريبة من أخته حسناء كأنه يراها في صورتها كما هي، كانت جالسة على أرضية العربة في إحدى الزوايا ماسكةً في يدها كيسًا بلاستيكًا به علب المناديل وبعض

الاكسسوارات، ترتدي ملابس خفيفة وجسدها يرتجف، يبدو على جفناها اللذان جرى في أطرافها احمرارًا إثر البكاء من شدة برودة الجو، توجه إليها على الفور برفق ثم انحنى وربت على كتفها قائلًا: لماذا تعملي في هذا العمر يا حبيبتي؟ وفي هذا الجو؟ وأين والدك؟

نظرت إليه الطفلة وعيناها يملأها الحزن والأسى والدموع تحفر خدها وهي تقول: أبي عند ربنا، توفى منذ عامين، وأمي أصابها شلل بعد وفاة أبي فلا تتحرك إلّا نادرًا، وأنا أعمل كي أحصل على طعامنا، فقال لها الفتى وهو يحبس أنفاسه المتصاعدة: اليوم الطقس شديد البرودة فما رأيكِ أن تستريحي في مثل هذا اليوم؟

تعديل من خلال WPS Office

نكست الصغيرة رأسها ناحية الأرض: كنت أنوي عدم الخروج اليوم ولكن أخي الأصغر مريضًا جدًا ويتألم من شدة المرض ولا يوجد لدينا ثمن الدواء، فقالت أمي لي أن أخرج لبيع بعض الأشياء من أجل أن أحصل على ثمن العلاج.

هنا لم يتمالك مصطفى دموعه المتحجرة تحت رموشة، وذهب ذهنه لما حدث له من تعطيل سيارته الجديدة، وهو يقول بينه وبين نفسه (لهذا ساقني القدر)، كما مرت على مخيلته حسناء التي كانت في مثل عمرها وحرمانها من

الالتحاق بالمدرسة لعدم قدرة والده على أن يتحمل جلب نفقات زائدة عليه، أفاق من سرحانه وهو يقول: أود أن أذهب معكِ إلى منزلكِ.

أومأت الطفلة بالموافقة، في حين كانت فتاة شابة تقارب عمره، ليست على قدرٍ كبيرٍ من الجمال، ولكن ربما جمالها في أخلاقياتها، كانت تلك الفتاة تراقب حديث الفتى مع الطفلة وأدركت مدى تأثره، وقد أعجبت بمشاعره، وعند نزوله برفقة الصغيرة، اقتربت منه الفتاة قائلة: سمعت حديثك مع الطفلة، تبدو طيب القلب لما رأيت بداخلك إنسانًا يمتلك خصال الخير.

ثم مدت يدها نحو جيب سرواله تدس به بعض النقود

تعديل من خلال WPS Office

الورقية، نظر إليها فاغرًا من الدهشة فاهه، فاستطردت الفتاة قائلة مبتسمة: أعتقد أنهم يحتاجون الكثير، فلا تحرمني من المساهمة معك في عمل الخير، كنت أود الذهاب معك ولكن

والدتي في انتظاري، أوكد لك أني لن أجد من وقتي فسحة، أستميحك عذرًا أن أطلب رقم هاتفك لكي أطمئن على الطفلة.

كان على الفتى أن يذعن لرغبتها، ابتسم وأعطاها رقم هاتفه، تنساب من فمه عبارات من المديح، وعند هذا انصرفت الفتاة، سحب الصغيرة في يده وواصلا السير في هدوء تأزم

بالصمت، سوى من أصوات الباعة في الشوارع، تغمرها الصخب والضوضاء وهما يشقان طريقهما متمهلًا في هوادة ورفق برفقة الطفلة متجهًا إلى منزلها، سرعان ما تراءت لهما نهاية الشارع منعطفًا لليمين، حيث توجد ساحة شاسعة منبسطة، إلى أن وصلا منزلها بعدما قطعا مسافة بعيدة المدى ، وقد بدا الظلام يفرش بساط أجنحته، وكان التعب أخذ منه الكثير، وعندما بلغ مكان مسكنها التي أشارت إليه الصغيرة، فوجئ بأنها تسكن في غرفة جدرانها وسقفها من الصاج، دخل فوجد نفسه فيما يشبه ثلاجة التجميد، كأنها تمتص الرطوبة العالية من أركانها الخارجية؛ لتبعث فيضًا من الصقيع المتجمد بداخلها، رأى الأم افترشت بساط حصيرةٍ متقلبة الألوان،

تعديل من خلال WPS Office

تجلس غارقةً في دموعها ودمارها وعيناها المتورمتين إثر البكاء الطويل وبجانبها طفلها يتألم من شدة المرض وهي لا تستطيع فعل شيءٍ سوى انتظار ابنتها تعود

بالعلاج، ألقى عليها فحصًا سريعًا وتقدم وهو ينوه باسمه لتعرفه، ثم أخرج هاتفه وقام بالاتصال بمدير أعماله يوسف وهو يقول بصوتٍ تملأه نبرات الحزن أن يأتي بصحبة طبيب الشركة الخاص في التو وأعطاه العنوان، ومضى الوقت وهو ملازمٌ الأم وطفليها، حتى حضر الرجل بصحبة الطبيب، أقبل إليه والحنق قد بدأ يسري في ملامحه وهو يجذبه من يده بقوة وبنبرة غضب، لقد تأخرت أكثر من اللازم، نظر له الطبيب واتسعت عيناه مندهشًا من اهتمامه الشديد بتلك العائلة، توجه الطبيب نحو الطفل ليقوم بإجراء الفحوصات

والكشف عليه، حينذاك رمى الفتى بصره ناحية مدير أعماله وأمر أن يوفر مسكنًا لهم في أسرع ما يمكن، ثم أدار بصره إلى أم الطفلة وحدجها بنظرةٍ زادت معنى وربت على يديها مبتسمًا: سوف أضع مبلغًا كبيرًا من النقود باسمكِ في البنك نظرت إليه المرأة وعيناها تذرف الدموع وبصوت متلعثم:

لم أرَ مثلك في حياتي!

تضاعف عطفه نحوها ثم شعر برغبةٍ تدفعه لطمئنتها: لا داعي

تعديل من خلال WPS Office

لهذا، هذه الأموال لن تجعلكِ تحتاجين لأحد، أتوسل إليكِ أن تنفقي على الطفلين وعلى تعليمهما ولا تحرميهما من شيء.
ثم استدار نحو الطفلة يحتضنها وطبع قبلةً رقيقة على خدها، تشبثت في عنقه بتلقائية طفولتها البريئة، فقد ملأ صدرها ثمة إحساس بالارتياح، وجدت منه أنيسًا، كأنه عوضها عن فقدان الأب. مسح على شعرها الطويل بإحدى راحتيه بحنانٍ وعطف.

- لن تحتاجين للعمل بعد الآن، رمته بابتسامةٍ صائبة تضئ وجهها، فاستدرك قائلًا، أوصيكِ أن تعتني بنفسكِ وتهتمي بالتعليم. هزت رأسها ورسمت على شفتيها ابتسامة تشق طريقها وسط الدموع، ثم أنزلها على قدميها وغادر في سلام.

تعديل من خلال WPS Office

لم تكن عقارب الساعة قد تخطت الثامنة مساءً، كانت الشمس قد أذنت بالمغيب، وتسلل الظلام في ليلةٍ من ليالي الوحدة، تسدل ثوبها على شقته المتسعة بمصابيحها الصاعدة، وعلى ضوئها المنتشر تجلت البُسُطْ والمقاعد والوسائد المستقرة عند أطراف أرجاءها، وأخيرًا استقر بصره على هاتفه قبل أن يفيق من هيئته التي كان عليها، فكان غارقًا في تأملاته وسراحانه، فاستيقظ من غفلته، والتقط الهاتف وقام بالرد على المهاتف الذي لم يُظهر اسم المتصل، تناهى إلى مسامعه صوت الفتاة

تعديل من خلال WPS Office

التي رآها في المترو، كانت تطمئن على الطفلة، فكان حديثًا شيقًا ممتعًا نظرًا لأخلاقياتها التي تتمتع بها، ثم تعددت الاتصا لات بينهم وتبادلا الأخبار ومناشط الحوار المتبادل بينهما، شعر مصطفى بشيءٍ ما جعله يقترب منها، ربما لقسوة الوحدة التي يعيشها، أو ربما سرٌ بها حرك مشاعره تجاهها، أحس أنه يـ متلك الاحتواء الذي شعر به قديمًا مع حبيبته سارة، فهو في أمس الاحتياج لذلك الاحتواء بعد فقدانه الأخير لوالده، رويدًا يقترب من تلك الفتاة دون أن يشعر ولم تكن تعلم قصته أو أنه ثري، فهي أيضًا تبادله نفس المشاعر، ولكن ليست متأكدة من مشاعرة، لأنها دائما تقف أمام المرآة تنظر إلى صورتها بإمعانٍ غير راضيةٍ، سيطر عليها اليأس وأفرطت في التشاؤم لدرجة أنها أوهمت نفسها أنها

أحلام يقظة، خيالات لا وجود لها على أرض الواقع، فصارت في سراب الماضي والأمر الناهي، في حين كان الفتى شارد الذهن يفكر فيها، بات صوتها لا يفارق أذنه، رأى فيها

الإخلاص والطيبة والحنان اللذان يحتاجهما الآن، وخفة ظلها بمثابة النسيم الذي يخفف عنه عذابه، يسأل نفسه، (لِمَ لا أتزوجها؟ فأنا أحتاج لمن يساندني بعد وفاة والدي ويملأ وحدتي ووحشتي)، بعث لها رسالة نصية عبر الهاتف "أريد

تعديل من خلال WPS Office

مقابلتكِ غدًا في الكافيه".

بدأ لقاءهما بالصمت لبرهةٍ، كانت ريهام تحتسي كوبًا من عصير الليمون، ترشف منه وقد دفنت أفكارها في أعماق نفسها، مرت نسمة رقيقة لطيفة على جلستهما، استنشقتها الفتاة بدلالٍ، لكنها أطلقت سؤالها بنبرة توتر،

خير يا مصطفى؟

انقضت دقيقة بعد تلقيه السؤال، وقال على حين غرةٍ: ربما لا تعلمين سر هذه المقابلة، كما أنكِ لا تعلمين إلا جزءًا من حياتي، أولًا أنا أمتلك شركة كبيرة، غير أنني وحيدًا في دنيا قل فيها الخير وكثرت بها الجرائم التي ارتكبها البشر في حقي، فالحقيقة أنني لا أتقن فن المديح وقول المجاملات،

ولا لي دراية كافية من أين أبدأ، لهذا أقول من غير مقدمات، يسعدني أن أطلب منكِ يدكِ للزواج لأنني ليس لي في

التلاعب بمشاعر الآخرين.

أخفت الفتاة وجهها ناظرةً للأرض، وسرت في قسماتها رعدةٌ من مشاعر مرهفة، منقبضة الصدر انقباضًا ممزوجًا بفرحةٍ عارمةٍ وخوفٍ شديد كأنها لم تكن تعتاد الفرح من عهدٍ سحيق

تعديل من خلال WPS Office

بعينين تهميان بالدموع، اتسعت عيناه وتجهم وجهه وفغر فاهه من فرط الدهشة متسائلًا عما غيّر حالها وما هو سر الدموع؟

صمتت برهةً ثم مدت يدها والتقطت حقيبتها من على المنضدة، وأخرجت منديلًا ورقيًا كان مستقرًا في حقيبتها، ثم تطلعت إليه بوجهٍ متلهف ولاحت بعينيها لمعة طيف حب وبدأت الفتاة تجفف دموعها وهي تقول: أصدقائي في مثل عمري تزوجوا وأنجبوا وأنا لم يتقدم لي أحدًا حتى الآن، وكنت أرى نظرات الناس لي تقتلني لتأخر زواجي، ولكن كنت صابرة أصلي وأقول لعل اللّٰه يحمل لي ما هو أكثر خيرًا، وهل يوجد غيرك أكثر لي خيرًا، جائني لِمَا رأيت فيك من خصال حميدة، جم التواضع، كامل الرجولة، وقد سرني أن أجد من يصغي إليّ بإمعان وباهتمام في المواجهة ضد الإحباط الذي ثقل عليّ.

التفت الشاب بكل جوارحه ينصت لكلماتها التي أثلجت صدره.

- سبب اختياري لكِ هو أنني لا أحتاج لزوجةٍ فقط، وإنما احتياجي إلى زوجةٍ وأم وصاحبة تعني على الدهر، أني احتضن ألم ًا لن يهدأ بداخلي، ربما شعرت بكل ذلك عندما

تعديل من خلال WPS Office

رأيتكِ، وقد حان الوقت لكي تعلمي الجزء الآخر والأهم في قصتي.

بدأ بقص قصته عليها، وعندما فرغ عادت غلالة من الدموع لتتجمع في حدقتا عينيها البارزتين لِمَا طرق على مسامعها للتو، ثم أردف مصطفي مخاطبًا في تردد أنفاسه المسموعة كأنها صدى صوت تفقده القدرة على الإحساس بالحياة.

- أعلم أن حياتي ليست ملكًا لي، فأنا أبحث عمن غدر بي، وسأظل طيلة حياتي باحثًا عن قاتل أختي وكان سببًا في موت أمي، لن يغمض لي جفن تلك الليلة مسهّدًا من الكوابيس الجامحة للاوعي التي تطارد رأسي وتفتك به، هل تمدي لي يد المساندة والمساعدة؟

ولاذ بالصمت منصتًا في جذع ٍ وترقب وهو يرمقها بطرفٍ خفي، لم تراجع ما طرح عليها وبدون تردد أسرعت قائلةً بصوتٍ تملأه الثقة: لن أتركك قط ما حييت.

تعديل من خلال WPS Office

(بداية حياة جديدة)

أشرقت شمس جديدة بنورها الناصع تبدل وتطهر القلوب وتنقي الصدور، تزرع الأمل وتنشر الصفاء وتطهر أجسادًا أهلكها الزمان، تذوب أشعتها في رقةٍ ونعومةٍ وتقتل الجراثيم

تعديل من خلال WPS Office

الزاحفة المنتشرة بين ثنايا الروح المقدسة لأداء ما تبض به القلوب التي أفسدها الإنسان.

تمت الزيجة في موكب عرسٍ بهيج، تبعث بداخله الأمل وتعوضه عن حنان والدته وحكمة والده وروح حسناء وحب سارة. ظلت ريهام تسانده، سعيدة برفقته، سارت يوميات حياته على هذا النمط، وتحسنت حالته على أن يتفادى المتاعب بالعزيمة والقرب من اللّٰه -سبحانه وتعالى- كلما ضاقت عليه خنقة فراق الأحبة، هون الأمر عليه عند مشاركة زوجته حياته وظروفه، وفرت له مناخًا ناصع البياض. توالت ضربات القلب في سرعةٍ وحرارة، ملأه شعورٌ بالظفر مع تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر عبر مدارات تعقبها الأيام والسنين،

والعمر يزداد عامًا بعد عامٍ تتوالى كطبول المتدلية في سرعتها وحرارتها المتوهجة بالحماس، يستقبل حياة عاطلة من مر الذكريات ولطف امرأته، وعلى الرغم من تأخر إنجابها وأنه لم يرزقها اللّٰه الذرية بسبب عدم قدرة بعلها على الإ نجاب إلّا أنها كانت سعيدة لا تريد شيئًا سوى التفاني في إسعاده، فكان اختياره لها موفقًا، فطرق باب قلبها بخفةٍ وإحسان، استحقت من أجله أن يطلق عليها "عوض اللّٰه".

تعديل من خلال WPS Office

قضى عمره في نبش الماضي باحثًا عن قاتل حسناء حتى نسي طعم الحياة، والسنين تجري من تحت قدميه وتسلب منه الشباب وزهوته، ومضى الوقت وهو جالسٌ على مقعد الأنتريه يحتسي قهوته، ونظراته شاردة، وبدأت تظهر على وجهه ملامح الحزن والأسى، بدا عقب يومٍ شاق في إدارة الأعمال الطويلة متعبًا فثقل جفناه. توجهت زوجته إليه وجلست بجانبه مدفوعة بعواطف الحنان، كست وجهها ابتسامةً هادئة حين قالت: لا تيأس فلابد من القصاص من الجاني مهما طال العمر والزمن.

- لقد تخطى عامي السادس والأربعون، وطيلة خمسة وثلاثون عامًا أبحث عمن قتل أختي، طيلة خمسة وثلاثون عامًا لم أذق طعم الراحة، يطاردني الأسى وتحيطني

تعديل من خلال WPS Office

الذكريات من مرارة مشهد قتلها، أستيقظ كل لحظةٍ على نوبة صرعٍ، لقد أنهكني التعب وتملك مني اليأس، لا أعلم إن كان القاتل لازال على قيد الحياة أم لا، غير أني لا أعرف عنه سوى تلك الوشمة التي تميزه تحت العين اليسرى، ثم اغرورقت عيناه بالدموع.

- لا تفقد الأمل يا زوجي العزيز، أشعر أن القاتل ما زال حيًا يرزق، فهو الآن لا يكاد عمره يتخطى السابع والخمسين ربيعًا كما ذكرت من قبل، عندما كان عمره يتراوح ما بين الثاني أو الثالث والعشرون وقتذاك أليس كذلك؟

بصوتٍ تملؤه الرغبة في الانتقام قال: لن أتركه لآخر نفسٍ في حياتي.

دفنت المرأة أفكارها في أعماق نفسها وهي تغير مجرى الحديث: ماذا فعلت عند ذهابك إلى اللواء محمود الذي كان نقيبًا آنذاك (وقت الحادث)؟

نفخ بضيق: لقد عثرت على اللواء محمود بعد بحثٍ طويل، مازال في الخدمة العسكرية، إنه رجلٌ شريف من نوعٍ نادر الوجود، تذكر الحادث متحمسًا لفتح القضية، ولكن لا يوجد دليل قوي نستند إليه لفتح ملفات القضية.

تعديل من خلال WPS Office

= ماذا قال عن التحريات التي جريت وقت الحادث؟

- شعرت من خلال حديثه أنه فوجئ بحفظ أوراق القضية وتم تأييدها ضد مجهول، في حين كان من الممكن العثور على القاتل، يبدو أن خلف القضية أيادٍ خفية ولها قوتها في غلق ملفاتها وطي أوراقها، وعدني اللواء محمود أننا إذا عثرنا على ذاك الرجل صاحب الوشمة سوف يساعدنا في فتح القضية مرةً أخرى وبالتالي نعثر على بقية المجرمين، وها أنا ا لآن مازلت أبحث وأنفق أموالًا، غير أنني أشعر بمحاربتي في سوق التجارة فهناك أيادٍ خفية تلاحقني في كل مكان وتحاول تعريض شركتي للخسائر، ومن معتقدي أن هذه

الأيادي هي نفس الأيادي التي تحافظ على الجاني، حيث شعرت في الآونة الأخيرة بسيارةٍ تراقب وتترصد تحركاتي وخطواتي.

سرت في قسماتها رعدةٌ مفاجئة، وضربت بيدها على صدرها، أخذت تردد بنبرة خوفٍ: لا داعٍ لأن تعرض نفسك للخطر، اترك الأمر للعدالة الربانية، فقد تكون حياتك في خطر محقق.

انتفض غاضبًا: لن أهدأ إلا عندما أعثر على القاتل والأخذ

بالثأر ممن حرمني من حسناء، لن تشعري بالنيران التي

تعديل من خلال WPS Office

بداخلي، ولم تريْ نظرات أختي إليّ وهي تُذبح، والتي مازالت في ذهني.

- الأمر ليس كذلك، وإنما أدركت بالخطر الذي يلاحقك ولن أستطيع الحياة دونك، فكن أكثر حرصًا.

تعديل من خلال WPS Office

(تبدل الحل إلى النقيض)

كان مصطفى في مكتبه بالشركة يتابع سير العمل، جائته طرقاتٌ على الباب مرتبكةٌ كأن صاحبها متردد، طرقها رغمًا عنه، يشوبها القلق، أشياء كثيرة تجتاحها الهواجس متوترة الأعصاب عندما برز من الباب وظهر يوسف مدير أعماله وهو يقف قرب عتبة الغرفة، وقف يلهث وجفف عرقه المتصبب، وقد أبصر في وجهه علامات حزن وهو يلقي عليه الفاجعة كأنها قذيفة أصابت صدره: تعرضت الشركة لخسائر طائلة.

- ماذا حدث؟

مد يوسف يده في جيبه وأخرج سيجارة ودسها ما بين شفتيه وجلس على الكرسي مكملًا بصوتٍ متحجر: لقد خسرت الشركة جميع المناقصات والمزايدات التي قدمنا لها، كما جاء هبوط مفاجئ اليوم شمل جميع الأسهم.

- كيف حدث ذلك؟

تعديل من خلال WPS Office

أشعل الرجل سيجارته وراح يدخن بسرعة وعصبية وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا بالنفي: لا أعلم كيف حدث ذلك، ولكن خلف كل هذا مصدر لا أعلمه!!

نفث دخان السيجارة الكثيف بضيق وقد ظهرت على وجهة ملامح الحزن، لقد اقتربت الشركة من إعلان إفلاسها!!

نكس مصطفي رأسه على المكتب وأسند برأسه على يديه، مضت برهةٌ والسكون سائدٌ والصمت مخيم، اعتدل في جلسته قائلًا بصوتٍ متحمس تملؤه القوة: لقد أعتدت على الصدمات كما توقعتها قبل حدوثها ولم ولن أترك هذا الشبح يلاحقني.

هب واقفًا وتحرك ببطءٍ في حالة إعياء ولما أنهكه التفكير والجراح، تأهب إلى الرجوع للبيت، وما هو إلا وقتٌ قصير استغرقتها السيارة التي استقلها وانطلقت به في طريقها إلى زوجته، فكان يحتاج لحُضن الدافئ، يرتمي في أحضانها تبعث بداخله روح الأمل وتحثه على الصبر كما كان يفعل والده عند كل صدمةٍ، احتوته وأخذت بيدهِ تسانده في أشد الصدمات، فيظهر المعدن الأصيل في وقت الاختبار الصعب.

كانت الصدمة قوية، لكن على أية حالٍ لابد من إيجاد حل

تعديل من خلال WPS Office

لإنقاذ شركته، ترى كيف يفعل في اجتياز هذه المرحلة الفاصلة في حياته. ظل مصطفى يكافح في تعويض ما فقده ولكن دائمًا ما يتعرض لخسائر طائلة على أيادٍ لا يعلمها، إلى أن أعلن إفلاسه، غير قادرٍ على الوفاء بالالتزامات أمام الدائنين والديون التي تراكمت عليه، وصل الأمر إلى أن حجز البنك على منزله. في هذا اليوم المشؤوم خرج الرجل من بيته الذي يحتويه برفقة امرأته بعد الحجز عليه متجهًا إلى شقة زوجته التي تركها لها والديها بعد وفاتهما، في حين تخلى عنه الجميع بعد إعلان إفلاسه وضياع جميع أمواله إلا أن امرأته التي مكثت بجانبه تشد من أزره حتى وصل به الحال إلى أن بات يبحث عن قوت يومه، ثم تدهورت حالته الصحية والنفسية بعد خسارته الفاجعة وفقدان الأمل في

ملاحقة قاتل حسناء، مما جعل

حالته النفسية تسوء يومًا بعد الآخر من فظاعة الصدمة، سقط أرضًا كفريسةٍ سهلة، مستسلمًا لوحشية المرض الذي ينهش أحشائه، الأمر الذي جعل زوجته تبيع أثاث الشقة

للإنفاق على مرضه بعدما تدهورت حالته الصحية، ومالبث أن غاب عن الوجود، حمل جسده الهزيل إلى الطبيب ما بين الحياة والموت، أخبرها أنه لابد أن يخضع للعلاج في

تعديل من خلال WPS Office

مستشفى استثماري كبير في أسرع وقتٍ ممكن لتوافر كافة الإمكانيات والتجهيزات الطبية الأزمة له بها، بلغ منها القلق غايته، وقد بدت عليها بوادر الهم، وهي تسند زوجها عائدًا إلى المنزل، تفكر وتفكر في كيفية العثور على ثمن العلاج في هذه المستشفيات المكلفة جدًا.

ومضت فترة وهو يطيل النظر في وجهه زوجته، أغمض عينيه في إعياءٍ فسالت الدموع الحارقة على وجنتيه ولاذ بالصمت، قالت زوجته بلهجةٍ تنم عن شدة تأثرها بصوتٍ مكتوم: لعل الله يحمل لنا ما هو أكثر خيرًا!

استمر على هذه الحال شهرًا مستلقيًا في فراشه على بساط الحصيرة في ساحة شقته الخالية من الأثاث، الفارغة من المفروشات المنزلية، أصبح وجهه أكثر حمرةً من ثقل المرض عليه، أوت زوجته إلى فراشها، متحاشيةً النظر في وجهه حتى لا يرى علامات الحزن على ملامحها، كان منظرها يثير

تعديل من خلال WPS Office

أعمق الألم، وقد عصب رأسه وانكمش على نفسه مرتجفًا حتى سقطت رأسه على صدره وبرز سنام العظام من جسده الهزيل.

ظلت تتأمله قرابة الدقيقتين، تبكي بداخلها بصوتٍ مكتوم حزنًا على ما وصلت إليه حالته الصحية، والعجز الذي امتلكها وفشلها في عدم القدرة على تدبير النقود لمعالجته، فقدت التركيز وتفلت أعصابها وعصفت بها الهواجس وبرأسها، مما دلّ على اقتراب توديعه. أمعنت الفكر في لحظاتٍ مرعبةٍ مرت عليها، ثم نهضت من تلقاء ذاتها بغير إرادةٍ منها تحمله

لإحدى المستشفيات الاستثمارية لعلها تجد بريق أملٍ، وما أن وصلا المستشفى دلفت بداخلها برفقة زوجها يسند على كتفها ، وقفت أمام حاجز الاستقبال قائلة للموظف بصوتٍ متحجر: زوجي مريضٌ للغاية، وقد تمكن منه المرض لأبعد الحدود،

ولا أملك من حطام الدنيا شيئًا ولم يتسع لي الوقت لجمع ثمن تكلفة علاجه هنا.

لم تستطع المواصلة فانهمرت في البكاء الشديد، ضيق الموظف عينيه امتعاضًا وقال في سخطٍ واضح وبصوتٍ خشن: هنا ليس ملجأ للشحاذة، اذهبي به إلى مستشفى حكومي للفقراء والمساكين أيتها المرأة.

تعديل من خلال WPS Office

فقالت بصوتٍ غلبت عليه نبرة التوسل والرجاء وهي تزدرد مرارة ريقها: أتوسل إليك أدخلنا واعطف علينا، زوجي بين الحياة والموت وكان رجلًا يصنع الخير ويقدم العطاء دون انتظار مقابل، يساعد الآخرين مثل نبع الخير الذي لا ينضب، وها هو الآن يطلب يد المساعدة فلا تحرمنا من لطفك يا سيدي البك.

قاطعها الموظف قائلًا بصوتٍ عالٍ في حدة: اذهبي من أمامي وإلا طلبت لكِ رجال الأمن.

ثم أفرغ غضبه بلهجةٍ تهكمية ودفعها بيده بعنفٍ في حين كان مصطفى مستندَا إلى كتفها دون أن ينبس ببنت شفةٍ وأخرج نفسًا متألمًا وحزنًا بائسًا، دلت على أنفاسٍ أحبطها الإعياء وأهلكها المرض.

اهتز إثر الدفعة، فسقط أرضًا وظل شاخص البصر، متأرجحًا بين اليأس والتوتر النفسي، ترى ما كان يخبئ له القدر بعد تلك المصائب والأعباء، صرخت المرأة صرخة ألمٍ ممتدة بملء فمها حتى بُحّ صوتها، بصوتٍ متهدجٍ ظلت تزوم وتزمجر وتدعو عليه بالويل.

في هذة اللحظة تناهى إلى مسامع الدكتورة ملك صاحبة

تعديل من خلال WPS Office

المستشفى ذات الخمسة والعشرين عامًا إلى أصوات ضجيج المشاجرة، وصوت الزوجة العالي من فرط البكاء والنحيب، التفتت ملك إلى الأصوات العالية تبحث عما يحدث هناك حيث كانت برفقة مدير المستشفى وبعض الأطباء يتفقدون سير العمل بالمستشفى، وقد أبصرت زوجة الرجل تمد يد العون والمساعدة نحو زوجها تساعده على النهوض من على الأرض، تمسح الدموع عن عينيها التي سالت كالمطر في محاولة إزالتها إثر دفعة الموظف الذي نهرهما وقام بطردهما.

عند هذا تجمدت الدماء في عروق صاحبة المستشفي أثناء رؤيتها هذا المشهد المؤسف، اتسعت عيناها ذهولًا، ولما تبينت من ملامح المريض، تغيرت وامتعضت تعابير وجهها إلى الدهشة، لا إراديًا ركضت نحو الموظف تسدد له ضربات متتالية على صدره ودفعته بعنفٍ دفعةً قوية بعينين تتغلغل بهما الدموع، في مشهدٍ عجيبٍ، مما جعل الجميع ينظرون بتعجبٍ إليها من فرط الدهشة، ماذا دعاها لفعل ذلك؟ تجلت في الأعين نظرات استغراب، تأزم الجو بالصمت، نظرةٌ منها حانت نحو مصطفى فإذا بها تحتضنه بقوةٍ كأن بها رغبة عنيفة بعد فترة فراق ٍ واشتياق وهي تقول:ما أصابك يا بابا مصطفى؟ ما أصابك؟

تعديل من خلال WPS Office

علقت المفاجأة لسان الرجل فلم ينبس بكلمة، خرس ولم تعد تصدر عنه أي كلمةٍ، رمقتها زوجته بنظرة حيرةٍ وذهول وهي تحدق في الدكتورة ملك: من أنتِ؟ قالها الرجل مستفسرًا تحت ترقب الجميع بالحدث الذي يمر أمام أعينهم بانتباهٍ شديدٍ في انتظار الإجابة بشغف لفك هذه الشفرة.

تنهدت ملك في صبر عندما تذكرت الماضي قائلةً بصوتٍ متعثرٍ يشبه الهمس: ألم تتذكر الطفلة بائعة المناديل التي رأيتها منذ عشرين عامًا في محطة المترو؟ التي ذهبت برفقتها إلى منزلها لتنقذ أخيها الأصغر وتخفف ألامه المرضية، ألم تتذكر تلك الأم المنكوبة ودموعها تحفر خدها حينما قدمت لها يد المساعدة؟

استنشق نفسًا عميقًا ببطءٍ في محاولة تنشيط ذاكرته وقبل أن تبدر منه كلمة داهم زوجته اضطراب مفاجئ للإدراك،

وبطلاقة الوجه أسرعت بالرد وهي تفتح فمها في ذهول: أجل تلك هي الليلة التي تعرفت فيها إلى زوجي الحبيب.

عاد مصطفى متسائلًا: وما هي علاقتك بهذه الطفلة؟!

انخرطت تبكي بنشيجٍ مسموع وهي تقول: تلك الطفلة هي أنا!!

تعديل من خلال WPS Office

ارتجف جسده وعيناه تلمع بالدموع، وسرت بين الحشد موجة همهمة ودمدمة، فأخذت تردد تائهة العقل بمزيجٍ من الرعشة والفرحة: تلك الليلة لن أنساها، تلك الليلة التي لا أنسَ فيها موقفك

تلك الليلة التي استدعيت فيها طبيبك الخاص لعلاج أخي، تلك الليلة التي أسرعت والدتي بطبع قبلةً على يدك، تلك

الليلة التي وضعت فيها مبلغًا كبيرًا من المال في البنك لنا، تلك الليلة التي احتضنتني فيها بحنان الأب وأنت تقول "لا داعي للخروج للعمل بعد الآن"، تلك الليلة التي أصبحت فيها والدي بعد وفاة أبي، تلك الليلة التي أوصيت فيها والدتي باستكمال تعليمنا، تلك الليلة التي طبعت صورتك في ذهني التي باتت أمامي في كل لحظةٍ وحين، ها هي أمامك الطفلة بائعة المناديل أصبحت بفضلك وخيرك الذي لا ينقطع طبيبة صاحبة تلك المستشفى التي أنشأتها أنا وزوجي عبد العزيز الثري بعد زواجنا عندما صرت طبيبة، بفضلك وخيرك الذي لا ينقطع أصبح أخي مهندسًا ناجحًا يمتلك شركته الخاصة

وعلاقاته الواسعة، هذا من فضل اللّٰه ثم بفضلك وخيرك الذي لا يزول، جعلت والدتي توصينا قبل وفاتها بالبحث عنك ورد الجميل، كانت تقول "عندما تعثري على مصطفي ألقِ عليه الس

تعديل من خلال WPS Office

لام، وأخبريه سلامي، وقولي له من بذر بذرة الخير لابد أن يحصد خيرًا".

سكنت شفتيه عن الحركة وأحالت عبارات الصمت على وجهه لكن نظرة ً منه حانت نحو زوجته التي تلتقط أنفاسها المتصاعدة، وسالت الدموع من عينيها وهي تقول: ألم أقل لك لعل اللّٰه يحمل لنا ما هو أكثر خيرًا؟ ها هو عاد إلينا المال والبنون في آنٍ واحد.

وراحت الدكتورة تحتضن مصطفى وزوجته قائلةً: لا تحملا هم شيءٍ على الإطلاق.

ثم استدارت إلى الموظف قائلةً بصوت به نبرة غضبٍ: ألم أقل من جاء يطلب المساعدة لا تخذله ولا تطرده ويتم تقديم له يد المساعدة وعلاجه على نفقة المستشفى. ثم أمرت مدير المستشفى بفصل هذا الموظف في حين أشارت بيدها إلى كبير الأطباء باستدعاء جميع الأطباء المتخصصين في حالة مصطفى، أسرعت الممرضات بإحضار الترولي ليستلقي الرجل فوقه وتتم تهيئته بإدخاله غرفة الفحص الطبي وعمل جميع الفحوصات اللازمة، ثم دبت الحياة فشملت الساحة وطلبت من الجميع الذهاب لأعمالهم فانصاعوا.

تعديل من خلال WPS Office

(رد الجميل)

رقد مصطفى يتلقى العلاج وعندما تحسنت حالته الصحية استقبل حياة عاطلة من حلو الذكريات ولطيف المشاعر، ولكن لم تكن لياليه المرضية لتنسيه من حيا عليه، راح يلملم أغراضه برفقة زوجته والدكتورة ملك وأخيها المهندس عمر الذي اتفق معه في مشاركته كي يساعده في أن يستعيد نشاطه العملي، توجهوا جميعًا صوب بيت عمر وأثناء خروجهم من باب المستشفى جاءت سيارة فاخرة تقف أمام باب المستشفى الرئيسي ونزل منها شخص يبدو عليه الثراء، تسمر وجهه في مواجهة الرجل، نظر مصطفى إليه بعجبٍ من على بعد، اشتعلت جذوة الدهشة وقال في ذهول: دكتور حسام؟

تعديل من خلال WPS Office

حولت ملك نظرها تجاه الرجل لكنها عادت تقول: دكتور حسام طبيب كبير يمتلك عدة مستشفيات ولنا معه بعض التعاملات المحدودة، هل تعرفه؟

أجابها في صرامة واثقة: رأيته مرة واحدة في حياتي ولكن لن أنساه، الدكتور حسام كان خطيب سارة -اللّٰه يرحمها- و لكنه لا يعرفني.

نفخت فيما يشبه التمتمة -اللّٰه يرحمها- وشقوا سبيلهم إلى المسكن.

أشرقت شمس التفاؤل بنورها الباعث تجدد القلوب وتشفي الصدور، وتزرع الأمل وتنقي أجسادهم من الهموم، تذوب

تعديل من خلال WPS Office

أشعتها في رقةٍ ونعومة داخل خباءه، مرت اللحظات الرهيبة في سرعةٍ رهيبة التي قلبت حياته كأنها زلزالٌ خاطف، أحس براحةٍ شديدة تغمره وكأنه أزاح عبئا كان يثقل كاهله.

جلسوا جميعًا وخيم السكون على المنزل، افتتح عمر الحديث:

سوف أبذل أقصى جهدي في أن تستعيد نشاطك العملي ومن خبراتك تستطيع إعادة شركتك لاجتياز تلك المحنة.

قال في حزم: أضع كل حواسي وتركيزي لإنجازه على أكمل وجه، ولكن أريد أن لا أظهر في سوق العمل الآن لكي لا ألفت أنظار قاتل أختي ومن هم ورائه فتكون كل المعاملات

والتعاملات معك في الخفاء.

- حسنًا، لا تقلق من هذه الناحية، أما من ناحية ورش العمل كافة، اتخذت فيها كل التدابير الأمنية واللازمة لك غير ذلك استغل علاقاتي الشخصية في فتح ملف القضية.

رسمت ملك ابتسامة جانبية على شفتيه تفيض بالثقة،

وأنا أيضًا لي دورٌ هامٌ في البحث والتحري عن المستشفيات المشبوهة التي تتعامل في تجارة الأعضاء البشرية لعلنا نعثر

تعديل من خلال WPS Office

على ذاك الرجل صاحب الوشم!

تنهد تنهيدة حامية في قلقٍ مخيفٍ يبلغ حد الجزع وعدم الاستقرار وما تنطوي عليه المحن وقال: خمسة وثلاثون عامًا أبحث عن ذلك الرجل الذي أتم عامه السابع والخمسين كأني ألهث وراء السراب. عند هذا قالت زوجته وقد اعتراها اضطرابٌ في باطنها، وقليل من العطف والحنان والدفء: حسنًا، لا تجهد نفسك يا عزيزي أكثر مما ينبغي، اعطِ جسدك فترة لاستجماع حيويته، يجب الآن أن تستريح قليلًا.

تعديل من خلال WPS Office

(بداية الخيط)

انهمك مصطفى بكل حواسه في العمل للوقوف على قدميه، مضى يستعيد توازنه وقدراته، يتحدى اليأس بنظرة أمل جديدة في استعادة شركته والسيطرة على نفسه، سعى في إثبات قدراته العقلية والفنية تحت وطأة العمل الجاد وتنمية مهاراته الفذة باستغلال الإمكانيات المتاحة التي قدمها له عمر ، سارت يوميات حياته على هذا النمط وتحسنت حالته، بعثت في باطنه الهدوء لحالته النفسية نسبيًا، على أن يتفادى المتاعب بالعزيمة، وما لبث ثوانٍ قليلة إلى أن عادت أفكاره تراوده مجددًا عندما ضاقت عليه خنقة فقدان الأمل في العثور على القاتل.

جلس في مكتبه الجديد بالشركة يتابع سير العمل ويراجع

تعديل من خلال WPS Office

بعض الملفات وكانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً، انتبه إلى رنين هاتفه، مد بصره ناحية شاشة الهاتف الإلكترونية التي تظهر اسم المتصل، فقام بالضغط على زر فتح المكالمة عندما أبصر اسم ملك وهو يتفحصه.

= مساء الخير يا بابا مصطفى.

- مساء الخير يا ملك.

= ما زلت في المكتب؟

- أمامي بعض الأوراق عند الانتهاء منها أتوجه إلى المنزل، لن تستغرق وقتًا، خير يا حبيبتي؟

= أريد أن تلقي نظرةً على بعض الأسماء وصور بعض

الأشخاص المشبوهة التي تعمل في تجارة الأعضاء البشرية، جمعتهم بصعوبة قبل أن تذهب إلى المنزل لعلنا نصل إلى شيءٍ يقودنا إلى القاتل. استولت عليه رغبةً لا تقاوم في أن يطلع على هؤلاء، تنهد في صمتٍ وقال: سأكون عندكِ خلال ساعة في المستشفى.

ثم أنهي المكالمة وأسرع بدس الأوراق التي أمامه في درج

CC

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

مكتبه هرع متقدمًا نحوها، لم يكن قادرًا على الصبر، في غضون ساعةٍ كان أمام المستشفى، اتجه مسرعًا صوب المدخل متوترًا في عصبيةٍ فاصطدم بشخصٍ بدون قصدٍ في ساحة البهو، كان خارجًا ناحية الباب، يرتدي نظارة ًسوداء اللون، اعتذر مصطفى بتهذيب عما بدر منه دون قصد.

ولما تبين من ملامح الرجل الذي يخفي نصف وجهه تحت النظارة الشمسية تبرز من أسفلها وشمة على شكل دمعة عين، اتسعت عيناه وشعر بارتجافٍ في جسده كأنه أصابته صاعقة كهربائية، قرر بعد برهةٍ قصيرة من التفكير وهو يتأمله بعينيه الحادتين، بلا إرادة مد يده ونزع النظارة من على وجهه بسرعه خاطفة، ليتفاجأ بالعين اليمني مفقوعة، فاغرًا شفتيه صدمة، تغيرت وامتعضت تعابير وجهه، فتزداد وجنتيه احمرارًا، تعرّق جبينه، وهنا زفر ثائرًا بصرخةٍ معبئةٍ بألمٍ وضيقٍ بعدما تيقن من هاوية قاتل أخته حسناء، فلا محال الحدس والريب، هجم عليه بقوةٍ غاشمةٍ ضربًا ولكمًا مبرحًا بهستيريا، وتوالت الضربات القوية، كاد أن يفقده الوعي ولكن

تعديل من خلال WPS Office

أفقدته القدرة على التحكم بنفسه والتماسك، فوجئت ملك بصراخ مصطفى ماسكًا ذلك الرجل الذي كاد أن يفتك به ويقتله، فأسرعت مهرولة وقد انتابها الفزع متجهة نحوه، بدأت الناس تلتف حوله، خطر على باله وهو على هيئته بأن ربما يفلت منه القاتل الذي ظل يبحث عنه خلال خمسة

وثلاثون عامًا بسبب محاولة الناس إنقاذه من براثنه، فجذبه وأخذ يجره للخارج من بين حشدٍ من الناس صوب سيارته وأسرع بفتح بابها ثم ألقى ضربةً قويةً بيده على رأسه ليفقده الوعي ودفعه بداخلها على المقعد الأمامي، وأخذ هو مكانه وانطلقت مسيرتها بين الأزقة قبل وصول الدكتورة ملك إليه، تسمرت قدماها فاقدةً الإحساس بمن حولها، وتناقلت نظرات الواقفين في اندهاشٍ، تمالكت نفسها وفي سرعة رهيبة مدت يدها في معطفها تخرج هاتفها، أجرت مكالمتين لزوجة مصطفى وأخيها. "يبدو أنه أخذ قاتل حسناء إلى قسم الشرطة" قالها عمر وهو يلهث، في سرعة البرق توجه الثلاثة

تعديل من خلال WPS Office

على الفور إلى قسم الشرطة ليتضح لهم من مأمور القسم أنه لم يصل إلى هنا!

وصلت المرأة بالقلق غايتها، ربت الشاب على كتفها: لا داعي للقلق، مصطفى يرهب من رؤية الدماء بسبب إصابته بمرض "الهيموفوبيا"، ربما ذهب به إلى اللواء محمود الذي وعده عند العثور على القاتل سوف يعاد فتح القضية، عنذاك احتضنتها ملك بحنان وعطف.

عاد القلق يتسلل إليهم عندما أجرى مكالمةً هاتفية وأخبرهم اللواء أنه لم يره منذ فترةٍ طويلة.

نكس عمر رأسه برهة وقد التف الطريق بالظلام حيث يخلو من الناس وقال على حين غرةٍ: يجب الآن أن نعود إلى البيت، ونمكث به، ربما يعود إليه في أي وقتٍ، ثم نعاود البحث عنه في الأماكن التي من الممكن اللجوء إليها إذا لم يظهر.

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

(دائرة البحث)

مضى الوقت كسحابةٍ ولم يُرَ له آثرًا، جلسوا جميعًا وخيم السكون عليهم، إحساس ما بعد الفشل، فأفلت منهم الزمام الذي يأبى ألا تكون هذه نهايته المؤلمة تحت وطأة الطغاة، وقد زاد عليهم التوتر والخوف وبلغ حدوده، بعد البحث عنه في كل مكان والأماكن التي من الممكن أن يجدونه فيها، شعرت ملك بخطورة الوضع ما جعلها تزفر أنفاسًا ثقيلة مدوية مكتومة تكسر ما بداخلها.

= يبدو أن بابا مصطفى انتابته حالة شبه فقدان للذاكرة عند رؤيته لقاتل أخته، لا يرى شيئًا أمامه إلّا مشهد قتل حسناء، فتغلبت عليه رغبة الانتقام، إنه الآن لا يدرك ما يفعله، لا يرى شيئًا أمامه ولا يشعر بما حوله كأنه فاقدًا للوعي سوى

الانتقام، تحول إلى شخصٍ آخر يقوده ارتكاب الجرائم ضد الأوغاد، ولكن الذي يصبرنا ويطمئنا إلى حدٍ ما هو إصابته بالهيموفوبيا، قد تمنعه عن قتل هذا الرجل، في نفس الوقت

تعديل من خلال WPS Office

أتعجب إلى أين ذهب به واختفى بهذه الطريقة المرعبة؟ وفي أي مكانٍ هو الآن؟

ارتفعت وتيرة نمو شعيرات الخوف والقلق النفسي بداخل زوجته، يضرب مناعة جسمها، جعلت ثنايا عقلها تدمرت وأعصابها تسبح في حالةٍ من التوتر المزمن، وعيناها العذبتان بالخوف وهي تقول: لا يوجد مكانٌ إلّا وبحثنا به، لا أعلم أين اختفى؟ وماذا يريد منه!

(مكان الاختفاء الغامض)

كانت خيوط الشمس تتراجع وتنسحب، أثناء ذلك بدأ الظلام يفرش بساط العتمة لتكسو معالم السماء، وذلك عندما وصل مصطفى منزله القديم في بلدته التي نشأ فيها، ربما عقله

تعديل من خلال WPS Office

الباطن قادة إلى منزله القديم بمجرد رؤيته للقاتل الذي يربطه بالماضي الذي بات يبحث عنه، انطلقت به السيارة في لحظةٍ لا يعي فيها إدراكه، لا يرى أمامه سوى مشهد الحادث البشع ومشهد حسناء مفصولة الرأس غارقة في دماءها والدماء تتناثر منها لتملأ الأرض، كأنه يريد إعادة الماضي في البلدة التي قُتلت فيها أخته الصغيرة ومات فيها أمه وأبيه، استشعر بأنهم ينادونه، كأنه أراد أن يقول لهم "ها أنا جئت بالذي دمر حياتنا وفرق شملنا، ها هو بين يدي، ها هو العهد الذي قطعته على نفسي، لن أنساكم كما تظنون بعد مرور السنون الماضية"، وانقضت دقيقتان كان واقفًا أمام الباب، لم تكن ثمة علامة ٍ يسدل بها على ما ينوي عليه، خاليًا إلى خياله الضيف الذي جاء يصاحبه بعد طول انتظار ٍ كأنه حلمٌ أوشك على الا نتهاء، حلمٌ مر عليه العمر من لحظاتٍ مرعبة لن تعد من الرؤى. ابتلع ريقه وهو يدير المقبض بيده ويفتح الباب، وأخذ يخطو بخطىً بطيئة وثابتة، كان المكان هادئًا يلفه السكون، بعد منتصف الليل، جذب ضيفه وأخذ يجره جرًا داخل البيت، مازال القاتل لا يعلم شيئًا بما يحدث ومن هو هذا الرجل ولماذا خطفه بهذه الطريقة وإنما يدرك أنه ضحية ضمن ضحايا عملياته الإجرامية بالتأكيد! فمضى يتحسسه مفتشًا عما يريب في جيوبه وجسده، قام بإحكام غلق الباب

تعديل من خلال WPS Office

بالترباس، وقد لمعت في عينيه نظرةٌ ماكرة ثم باغته المجرم وهب فجأةً محاولًا الهروب من بين يديه، بسرعةٍ خاطفة عرقل حركته ولف جذعه بذراعيه وقلبه على الأرض وانقض عليه وقام بتوجيه لكمة شديدة بيده في أنفه، جعلته ينزف دماءً، هنا صاح مصطفى صيحةً غريبة صمت أذنيه وانتابته نوبة ذعرٍ وهلع فور رؤية لون الدم، لكن الشيء الغريب في هذه المرة أنه لم ينتابه الهلع من رؤية الدم، وإنما تحول الأمر كأنه رجل من مصاصي الدماء يهوى الدم ولا يشبعه إلّا إياه، ربما غلبت عليه رغبة الانتقام الثائر، انهال عليه بضرباتٍ متتالية قوية في وجهه، وكلما ازداد تدفق الدم زاد هيجانه وهو يقول: أريد مزيدًا من الدماء.. أريد مزيدًا من الدماء.

ظل ينهال عليه بضرباتٍ قوية بهستيريا إلى أن شحب لونه شحوبًا شديدًا وفقد القاتل الوعي، عنذاك كبل يديه وأرجله ثم كبله بالحبال في إحدى أعمدة المنزل وسحب مقعدًا خشبيًا متهالكًا وجلس ينظر إليه والدماء تنساب بلونها الأحمر من وجهه.

هدأت أنفاسه بعد لحظاتٍ، ثم وثب واقفًا وصار يدني بصره في المكان يتفقده، يبحث عن سكينٍ أو شيءٍ حادٍ في المنزل القديم، فعثر من بين أسياخ التسليح الحديدية الموجودة

تعديل من خلال WPS Office

على ماكينة قص وتقطيع أسياخ حديد التسليح التي يطلق عليها (صاروخ)، ثم عاد بها إلى مكانه وجلس يراقب المجرم حتى يفيق من الإغماء، لحظات ليست بقليله ثم آفاق، وجد نفسه مكبلًا بالحبال والدماء على صدره، رفع عينيه لأعلى دون رأسه مستطلعًا وهو يقول: ماذا تريد؟

هنا ضحك مصطفى ضحكةً بلهاء تسبقها بابتسامة مقتضبة، وهو يقول: أريد أن أصنع منك قطع غيار.

الذعر استحوذ عليه والرعب الرهيب يمزقه تمزيقًا: من أنت؟

عندئذ أفلتت من مصطفى صيحة استنكارٍ في وجهه بصوتٍ أجش كان مزيجًا من الرعشة والضغط العصبي، تخالطه الدموع:

أنا حبيبك الذي كان يبحث عنك طيلة خمسة وثلاثون عامًا، ألم تتذكرني؟ أنا الفرحة التي قتلتها، أنا روح حسناء التي لم ترحمها، ألا تعرفها، أم لم يسبق أنها مرت عليك؟

انهمرت منه الدموع ثم انتفض واقفًا يحمل الآلة (الصاروخ) في يده وأدار محركها ليدور القرص الصلب ويأخذ سرعته متجهًا نحوه،

"ماذا تفعل؟" قالها ذو العين المفقودة في اهتياج ٍ مفاجئ

تعديل من خلال WPS Office

سيطر على حواسه.

- دعني ألقنك درسًا لن تنساه في شناعة الظلم وأثره على المظلوم. واقترب بالقرص الصلب على إحدى أصابع يده سرعان ما بترت، فتعالت ضحكات مصطفى في وسط دموعه وهو يكرر: أريد مزيدًا من الدماء، أريد مزيدًا من الدماء!

في حين صدرت من الرجل صرخة معبئة بالألم، عانى ألمًا شديدًا وعذابًا رهيبًا، فاستطرد مصطفى قائلًا: تلك اليد التي قتلت حسناء أختي سوف أقطع كل أصبعٍ فيها على حدى إن لم تدلني على بقية المجرمين ولمن تعمل ومن وراءك.

لم يكمل حديثه فتفرس من هيئة وجهه الذي غاب عن الوجود، عندئذٍ أسرع بوقف نزيف الدم منه ليس خوفًا عليه ولكن حرصًا على، حياته لسببين رئيسيين أولهما: أراد أن يشبع رغباته الانتقامية، ثانيًا: أراد أن يعثر على بقية المجرمين. أفاق القاتل بعد الغيبوبة التي لم يدرك مدتها، فتح عينين محمرتين تلوح فيهما نظرة غائبة، يحرك رأسه لينفض عن وجهه الإعياء والدوار اللذين يدقان في رأسه، لم يتيح له فرصة الرد وهو يقترب نحوه بخطىً ثابتة وفي يديه آلة قطع الحديد، ولما لمح له شبح قدومه مجددًا حاملًا في يديه (الصاروخ) خلع له القلب، كانت قطرات العرق تنصب على

تعديل من خلال WPS Office

ظهره، ابتلع ريقه بصعوبةٍ قائلًا دون مقدمات: ماذا تريد أن تعرف؟

تريث مصطفى قليلًا ثم أوقف الآلة عن الحركة وقال: أين شركاؤك الذين شاركوا معك في قتل حسناء؟ ومن هؤلاء الأوغاد الذين تخضع تحت أمرهم؟

لا أعلم مكان وجودهم سوى رجل واحد منهم، حيث كان دوري يقتصر على خطف الضحية ويتم تسليمها إلى الدكتور الذي أتعامل معه مباشرةً، اسمه دكتور (حسام حمدي) وليس لدي أدنى علم بشيءٍ بعد ذلك.

- دكتور حسام حمدي خطيب سارة؟

= سمعت أنه كان خاطب من تشبه هذا الاسم، لا أعلم بالضبط ولكن مدحت الذي كان معي أثناء الحادث وهو الشخص الوحيد الذي أعلم وجوده لأنه يعمل مع الدكتور حسام حتى الآن وهو يعرف كل شيء عنه.

دكتور حسام الطبيب الشاب الذي جمع ثروة طائلة في زمن قياسي بعد تخرجه مباشرةً من هذه الجرائم البشعة، فلا محال الحدس مما لم يدع في نفسه شكًا في أنه هو، أردف

تعديل من خلال WPS Office

صائحًا محذرًا وهو يسحب الهاتف من جيب سرواله: عليك أن تأتي بالدكتور حسام إلى هنا.

= كيف؟

- تقوم بإجراء مكالمة لدكتور حسام، وتخبره أنه توجد صفقة من الضحايا هنا في هذا المنزل، ويجب عليه أن يأتي إلى هنا ليلقي نظرة على الصفقة، ليتم تخطيط التسليم والاستلام وإتمام الصفقة بسلامٍ وأمان، ولا تنسى بأن تخبره أن يأتي برفقة المجرم الذي شارك معك في قتل أختي حسناء مع مراعاة تبليغه أن شخصٌ تابعٌ لك ينتظره بالسيارة في المكان المحدد ليأتي به إلى المكان المتفق عليه.

قال ذو العين المسخ: لا ريب في أن هذا الشخص هو أنت.

أجاب في حزمٍ عن تساؤلِه: أجل.

وهو يضع هاتفه على أذنه لتنفيذ ما أمره به دون تلاعب وسخط المراوغة.

تعديل من خلال WPS Office

عندما بلغت الساعة الرابعة فجرًا حسب التوقيت المتفق عليه ، انتظر مصطفى قدوم الضيفين على الطريق السريع بجانب مدخل الزراعي للبلدة، ضاحية يغمرها الهدوء، يتناهى إلى السمع حفيف الأشجار من مزارع أطرافها مترامية، وأشباح هذه الأشجار تتناجى صفين على جانبي الطريق، تهتز لها النفوس.

عندما تراءى له قدوم سيارة تبعث له إشارة ضوئية فهم مقصدها، تابعها بإشارةٍ مثلها، ولما جنحت شماله تبين ملامح قائدها فقال له بلهجة الناصح أن يترك السيارة هو وصاحبه لأنها غريبة عن أهل القرية، وأقنعهما بذلك! ترك حسام المقعد الأمامي وأخذ صاحبه من مكانه في الخلف، جذب مصطفى بابها وقبل أن يجلس على مقعد القيادة، قام على الفور وألقى على وجوههما رذاذًا مخدرًا من زجاجةٍ كان يخفيها ما بين طيات ملابسه، وانطلقت السيارة في مسيرتها بين الطرقات، عندما وصل أسرع وكبلهما بالحبال بجانب ثالثهما، ثم جلس في مكانه المعتاد على كرسيه المتهالك.

تعديل من خلال WPS Office

اليوم الثالث من الاختفاء

الساعة الحادية عشرة والنصف ظهرًا

تعديل من خلال WPS Office

كانت زوجته جالسةً برفقة الدكتورة ملك وأخيها في المستشفى، تفرست وجههما بين حينٍ و آخر تختلس النظرات في ساعة يدها، بدت عيناها حائرتين زائغتين شاحبة الوجه مرتجفة الملامح، تلهث انفعالًا وهي تقول: بحثنا عنه في كل مكانٍ ولم نجد له أثرًا، فقد دخل في يومه الثالث، أشعر أنني أفقده بشدة.

ثم ما لبثت أن تتلاشى عن الوجود فتذوب في غيابه ويغمى عليها وتسقط على الأرض، حطت ملك راحتها على جبينها تمسك يدها وهي تنظر في ساعة يدها تحس النبض عبر تحسس الشرايين في محاولة إسعافها، نهض عمر وراح يستدعي ممرضةً تساعدها، وعلى الفور تم نقلها غرفة الفحص الطبي، لحظات فاقت من الإغماء وعيناها محدقتان، قالت ملك وقد جرت على شفتيها ابتسامة: كوني مطمئنة، كل شيءٍ سيكون على ما يرام، وسيعود بابا مصطفى لكِ لكي يحتضن طفلته القادمة، راحت تنظر إليها بإمعان بعينين داهشتين.

- ماذا؟

مضت تعيد عليها وتؤكد ما قالته ليس بهراء: مبارك، قريبًا سترزقين بطفلة.

تعديل من خلال WPS Office

عاود قلبها الخفقان السريع كأنها لم تستوعب المفاجأة السارة ولكنها خطرت على مخيلتها حينها_قول الله تعالى: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ}

عندها فزع عمر فجأة من جلسته وقد بدا له ما آفاقه فجأة في لحظة ٍ كأنما خطر على ذهنه شيء ٍ غاب عنه قائلًا: تبا للنسيان لقد شغلنا إختفاء مصطفى عن التحري والبحث عن قاتل حسناء، وهنا السؤال المهم، لماذا آتى للمستشفى؟ فربما يساعدنا ذلك في العثور على مصطفى، أو يقودنا إلى معرفة شخصية الجاني الحقيقية! تسمر وجه ملك بنظرة ٍ فتاكة ٍ برهة ثم ركضت نحو مدير المستشفى، تابعها أخيها ومن ورائهما المرأة، تم استدعاء مدير الاستعلامات العامة للمستشفى

للاستفسار عن هذا الرجل، فجر مدير الاستعلامات مفاجأة بأنه آتى ليسلم أوراق خاصة بالدكتور حسام حمدي لمدير الحسابات!!

صاح عمر في حزمٍ: هذا يعني أن الدكتور حسام له علاقة بهذا الرجل (قاتل حسناء)، أو ربما يكون من ضمن شبكة تجارة

تعديل من خلال WPS Office

الأعضاء البشرية!!

قالت ملك: ليس أمامنا وقت ًا ولا خيار آخر، علينا الآن على الفور إبلاغ اللواء محمود فقد كان المحقق الرئيسي في هذه القضية وهو الوحيد الذي يعلم جيدًا بالواقعة وملم بالحادث وسوف يساعدنا بالتأكيد.

اليوم الرابع للاختفاء

الساعة الثانية ظهرًا

تعديل من خلال WPS Office

وقف مصطفى أمام الدكتور حسام المكبل بالحبال يحمل ما بين يديه ماكينة قص أسياخ الحديدية قائلًا: أعلم أنك مندهش الآن، لماذا أتيت بك إلى هنا؟ كما أنك لا تعلم من أنا، ولكن ربما تشعر أنني قد أكون ضحية من ضحاياك بالتأكيد، دعني أن أخبرك بشيء، أنا حبيب سارة خطيبتك التي كانت لا تريدك، ولأنك جمعت ثروة طائلة من جرائمك القذرة فكانت عقبة في طريقي أن رفض الدكتور شاهين والد سارة إتمام الخطبة، كما كنت سببًا بمشاركتك في قتل أغلى ما لي.

اقترب منه ثم قام بتشغيل الآلة (الصاروخ)، وقام بقطع أحد أصابع كف يده وهو يقول: تلك اليد التي قتلت ودمرت أسرًا من الضحايا.

صرخ صرخة ألمٍ ممتدة من شدة الألم، في حين تصلبت حدقتا عينا مدحت، المجرم الذي شارك في قتل حسناء

تعديل من خلال WPS Office

والذراع الأيمن للدكتور حسام الذي لا يعلم ما يحدث فكان كل ما يدور في ذهنه أنه يقصد قتل سارة.

استدار إليه مصطفى وهو ينظر له نظرات انتقامية فتصاعد بداخله الرعب كلما اقترب نحوه، ازدرد الرجل ريقه بصعوبة وهو يصيح بصوت يملؤه الفزع، ليفجر مفاجئة أخرى لم تجرِ على ذهن مصطفى من قبل.

= ليس لي ذنب في مقتل سارة، فأنا كنت أنفذ تعليمات الدكتور حسام حينما أمرني بقتل شخصٍ يقف دائما برفقتها عند محطة الحافلات بجوار الجامعة، ولم أكن أعلم أنك هذا الشخص إلّا الآن. صمت دقيقةً يلتقط فيها أنفاسه المتصاعدة، ونبضاته تتسارع وترتعد الجفون في تردد أنفاسه المسموعة، فاستطرد مكملًا: أمرني وقتذاك أن أقود السيارة بسرعةٍ جنونية وأن أصطدم بهذا الشخص فيكون الحادث طبيعي، ولم أرِ وجهه حينذاك لأنه كان يقف في مواجهة سارة بينما ظهره ناحية الطريق، ولكن دفعته الفتاة من أمام السيارة

تعديل من خلال WPS Office

لتنقذ حياته فاصطدمت بها السيارة وسقطت على الأرض دون حراك وفارقت الحياة.

أنهى الرجل سرد ما حدث، عندها انزعج مصطفى في باطنه ومرت به لحظة كدرٍ لم يشعر به من قبل، بقي الغضب في أعماق صدره وهو يديم النظر إليه من فظاعة الفاجعة التي صدمته في أن مَنْ وراء وفاة سارة حبيبته هو الدكتور حسام أيضًا، لا إراديًا هاج كأنه أسدٌ جريحٌ جائعٌ أطلق سراحه بين الناس، وأخذ الصاروخ يقطع كفوف أيديهم تباعًا، انهال عليهم نهرًا وتمزيقًا وبترت في الحال، اندفعت الدماء بغزارة، وتعالى صراخ الثلاثة، لكنه مضطرب ٌ نفسيًا لم يعبأ بمنظر الدماء وراح يقول: أريد مزيدًا من سفك الدماء، أريد أن اشبع رغبتي من رؤية دمائكم، أريد مزيدًا من سفك الدماء.

ثم دنا من حسام والدماء تنفجر من كف يده المفصوله عن ذراعه، وكانت نظراته تطلق حممًا بركانية، جعلت الرجل

تعديل من خلال WPS Office

يقول: لا أريد أن أموت، لا تقتلني فلست وراء قتل أختك.

فإذا به تسمر في مكانه كمن مسته صاعقةٌ مفاجئة، وذم شفتيه بحنق وقال: من هو إذًا؟ ومن الذين يعملون في تجارة الأعضاء البشرية؟ تكلم قبل أن أنشر رأسك عن جسدك.

عند ذاك أصر حسام على أن يبوح بالسر واعترف كي ينجو من الموت المحقق لعله يتركه ويهدأ ثأره، قال بنبراتٍ متوترة نمت عن شدة خوفه.

= المستشار (شريف صبري) الذي كان وكيلًا للنيابة والمحقق في قضية حسناء وقتذاك هو الذي يدير هذه الخلية!

عند هذا بسط كفيه في ذهولٍ بأعينٍ براقةٍ وألم، وهمس خياله فيما مضى، كيف خدع البشرية طوال هذه الفترة بهذه البساطة، غالبه الانكسار والقهر فطفرت من عينيه دمعتان.

ساد السكون لحظاتٍ سوى من أنين المجرمين يتألمون، تابع فيها وجوههم بعينين حمراوين لا يبدو فيهما غير الشر تتطاير منهما شرارة الغضب.

تعديل من خلال WPS Office

- سوف أفصل رؤوسكم عن أجسادكم حتى أشبع رغباتي في رؤية آخر نقطة دم، وتذوق أنفسكم نفس السم الذي كنتم تضعوه في كأس الضحايا، لن أترك المستشار شريف ينعم بحياته، والآن دعوني أبدأ بقاتل أختي الذي ذبحها دون شفقةٍ ولا رحمةٍ أمام عيني.

اقترب نحوه وهو يحمل في يديه الصاروخ ثم أدار المحرك وأخذ القرص النحاسي قاطع أسياخ الحديدية سرعته صوب عنقه وهو يقول: الآن أريد أن أرى رأسك يتطاير في الهواء، أريد أن أستمتع وأرى رأسك مفصولة عن جسدك كما فعلتها ذي قبل في جرمكم الشنيع.

تعديل من خلال WPS Office

اليوم الأخير من الاختفاء
الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر

دخلوا الثلاثة تباعًا لمكتب اللواء محمود، جلست زوجة مصطفى قبالته وأنفاسها ساخنة متسارعة، فأخذت تحكي مروعة تائهة العقل زائغة النظرات، وانقضت دقيقة وقد استقر الرأي على أمرٍ واحد، أمر الرجل على الفور قوى من رجال الأ من بضبط وإحضار الدكتور حسام من منزله بعد أخذ تصريح من النيابة بالقبض عليه. ندت عنها تنهيدة عميقة كشظايا ملتهبة بنفس التوتر مما طرق على مسامعها عندما قام أحد أفراد رجال الأمن من القوى بإبلاغ اللواء محمود عبر جهاز ال لاسلكي بأن الدكتور حسام مختفي منذ ثلاثة أيامٍ بناءً على ك لام امرأته التي قامت بتحرير محضر بغيابه في قسم الشرطة التابع لها، الأمر الذي دعا لارتفاع حدة التوتر وتصاعد الخوف بداخلهم، ساد الصمت لوهلةٍ في المكتب، أخذ الرجل نفسًا من السيجارة ونفث دخانها وقطب ما بين حاجبيه.

= أنتم بحثتم عن مصطفى في كل مكانٍ يحتمل الوجود به

تعديل من خلال WPS Office

سوى مكان واحد!

ارتفعت الرؤوس وحدجته الأعين في تساؤلات ٍ خافية، نظرت إليه المرأة ذاهبة وأصغت السمع مرهفًا أذنها ثم وثبت من على مقعدها تبدو عليها الدهشة قائلة: أين هذا المكان؟ هل هناك مكان لا أعلمه؟

نفث الرجل دخان السيجارة الكثيف إلى الأعلى وهتف في ثقةٍ: منزله القديم في بلدته، لم أكن أعلم عن هذا المنزل شيئًا سوى وقوع الحادث هناك في بلدته وقد باع المنزل مذ عهدٍ سحيق

نفخ عمر بحرقةٍ: لا يوجد أماما متسعًا للحديث، يجب علينا

الآن سرعة التوجه إلى مكانه قبل أن تتضخم الأمور.

مد اللواء محمود يده والتقط جهاز اللاسلكي يعطي أوامره إلى القوات الأمنية من رجال الأمن بسرعة التوجه إلى البلدة، وانطلقت المسيرة وتمت مقابلة الطرفين على حدود المدخل مع رجال الشرطة وأسرته.

تعديل من خلال WPS Office

اللحظة الأخيرة

الساعة الخامسة مساءً

واصلوا السير عند الاقتراب من الهدف بحذرٍ شديد، ران الصمت دقيقة أمام باب البيت، مرت اللحظات الرهيبة في سرعة الزلزال الخاطف على وجوه الثلاثة امرأته وملك وعمر، سرعان ما اقتحمت قوات الأمن المنزل ودلفوا بداخله فوجدوا الدماء تملأ أرضيته، كان مصطفى يحمل في يده آلة قص أسياخ حديد التسليح (الصاروخ) صوب حافة عنق قاتل حسناء وجبينه يسح عرقًا ساخنًا، كان منظره يثير الجدل، أصدر اللواء محمود أمرًا على الفور لرجال الشرطة أن تقف دون حراكٍ إلا بأوامر منه، ثم أدار نظره إلى مصطفى وهو يقول: دع العدالة تأخذ مجراها ولا تضيع نفسك.

تعديل من خلال WPS Office

التفت نحوه بنظراتٍ ثاقبة، زوى ما بين حاجبيه وأجهش بالبكاء والنحيب وهو يردد: أي عدالةٍ هذه التي حرمتني من أختي حسناء وذبحها مثل الشاة؟ أي عدالة هذه عندما توفيت والدتي حزنًا على ابنتها الصغيرة؟ أي عدالة هذه التي حرمتني من حبيبتي سارة؟ أي عدالة هذه التي شلت يد و الدي وجعلته تعيسًا حزينًا طوال حياته إلى أن مات؟ أي عدالة هذه التي تترك المجرمين ينعمون بالحياة دون حساب ولا عقاب؟ أي عدالة هذه جعلت وكيل نيابة يستغل سلطته في هذه المذبحة ويقيد القضية ضدّ مجهول؟

أطرق اللواء فى حزنٍ وأسىً بالغ، ولازم كآبة الإطراق ثم رفع رأسه فى بطء: معنى أنه توجد قلة من الفاسدين في المجتمع لا تمنع العدالة من أن تأخذ مجراها، فإن القانون فوق الجميع وليس ملكًا لأحد، يطبق على الكل على حد السواء دون تمييز، وإن العدالة آتيةٌ لا محالة، يكفي ما صنعته فقد ماتوا آلاف المرات فلا تضيع نفسك، والفرصة مازالت قائمة، فكل ما صنعته تحت تأثير الحالة النفسية التي تعرضت لها، دع العدالة تأخذ مجراها.

بصوتٍ به نبرة انتقام قال: سوف أنفذ العدالة بنفسي وبيدي وليس لي خيارًا آخر، وليس لي هدفًا آخر أعيش من أجله.

تعديل من خلال WPS Office

عند هذا صاحت امرأته مدفوعة بالعواطف، وألقت عليه نظرة زاخرة بعتبٍ ولوم: هل حقًا نسيتني يا مصطفى؟ نسيت زوجتك؟ لمن تتركني؟ أم نسيت وصية والدك صابر؟ حينما قال لك "لا تجعل رغبة الانتقام تسيطر على سلوكياتك وتؤذي من هم أقرب الناس إليك".

أجهشت بالبكاء وزاد نحيبها: إذا هانت عليك زوجتك ورفيقة دربك، فلمن تترك ابنتك حسناء؟

ظل يتأملها قرابة الدقيقة وهو يقول بصوتٍ تبدل على حين فجأةٍ ولاح بداخله التصديق والتكذيب متسائلًا بصوتٍ تملؤه الدهشة: حسناء مَنْ؟

فتعثر لسان المرأة وتحجرت الكلمات عن الخروج، وهنا تدخلت ملك وكانت تتابع المشهد المؤثر بعينين باكيتين قائلةً: حسناء ابنتك، هذه إرادة الله بأن يرزقك بطفلة تعوضك عن أختك حسناء بعد طول انتظار، فلمن تتركها ولمن تتركنا فنحن عائلتك الآن.

ارتعشت أطراف يد الرجل واهتز من يديه (الصاروخ) ولم يشعر بسقوطه على الأرض، حينذاك اقترب منه اللواء محمود ببطءٍ شديد وخطوات مترقبه وأمسك بيده يبعده، ثم أمر

تعديل من خلال WPS Office

القوات من رجال الشرطة بالقبض على المجرمين وتم التحفظ عليهم وتم إبلاغ الأجهزة الأمنية والجهات العليا المتخصصة لإجراءات تمكين القبض على المستشار شريف حمدي وبقية الخلية الإجرامية. وفي هذه الأثناء أقبلت زوجته تحتضنه بقوة ٍ ترق على شفتيها ابتسامة أشواقٍ، حضن واسع يمتلئ بالحب والدفء الرباني، ومضت هنية صمتٍ قصيرة، ثم أردف عمر مخاطبًا، الآن أزاح الله الهم و الغم وفرج الكرب وأظهر الحق.

النهاية

تعديل من خلال WPS Office

الساعة تخطت الخامسة مساءً، اقترب غروب الشمس عندما تنسحب أشعتها تدريجيًا إلى مخدعها وراء الغيوم تترك ذيولها مطوية، متلفحة بغلالة سمراء مؤشرًا لقرب مغيبها، كان مصطفى يقفف برفقة زوجته والدكتورة ملك وأخيها عمر أمام قبور والده ووالدته وأخته وسارة وهو يقول: الآن سوف تسكن أرواحهم مطمئنة بعد تحقيق العدالة، الآن يا والدي كما وعدتك. ثم رفع وجهة ينظر إلى السماء النقية الصافية كصفاء السرائر البيضاء كنقاء البدر في السماء: ترى تلك هي البداية أم النهاية؟ نهاية النهار وطلوع الليل فهما الآن في آنٍ واحدٍ!

التفتت زوجته برأسها صوبه في إشفاقٍ ووقفت حياله تربت على كتفه بحنانٍ وعطف وتقول: تلك هي البداية، بداية حياة جديدة بدون ..... هيموفوبيا

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

تمت بحمدالله

سامي سلام القراش

تعديل من خلال WPS Office

هيموفوبيا

CCX

تعديل من خلال WPS Office

تعديل من خلال WPS Office